

هذه الطبعة  
إهداء من المركز  
ولا يسمح بنشرها ورقياً أو  
تداولها تجارياً

# اللسانيات العربية

## Allisaniyat Al Ārabiyyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك  
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية  
العدد ٩ ذو القعدة ١٤٤٠هـ - يوليو ٢٠١٩ م

- الوسم النحوي الأكي للعربية في منهجية بنك المشجرات النحوية في جامعة  
بنسيلفانيا.

- التحول الدلالي في المعجم بين الاستعارة والمجاز:  
مظاهر الانتظام العرفاني فعل «حرق» أنموذجاً.

- إشكالات التأويل الدلالي في بعض الأبنية التركيبية العربية  
(مقاربة عرفانية).

- أنماطية تصنيف الرؤوس الفعلية الظاهرة والرؤوس الفعلية الضامرة  
في الدرس اللساني العربي.

- « أن » وعلاقتها بالمراقبة في العربية: افتراض النقل أم طابق ضم الكبير؟.

- الفضاء اللغوي وآليات بناء المعنى.

- الأصلية في تعليم اللغة الثانية.

# التحوّل الدلالي في المعجم بين الاستعارة والمجاز: مظاهر الانتظام العرفانيّ فعل «حرق» أنموذجاً

د. نجلاء شعير

## الملخص

تشغلنا في هذا البحث مسألة التحوّل الدلاليّ في المعجم باعتبارها خصيصة من أهم الخصائص التي يُتّهم المعجم بسببها بالفوضى والشذوذ، ذلك أن المعاني - بحسب الرأي القائل بشذوذ المعجم - تتبدّل وتتغيّر وتتحوّل بحسب مقتضيات اجتماعيّة تواصلية مختلفة، ومحاصرة هذه المعاني هو ضرب من «العبث». ولكنّ الأبحاث المعجميّة اليوم خطت خطوات هامة في إبطال الحكم بفوضويّة المكوّن الدلاليّ بتبّعها لآليات تكوّن المعنى وأشكال تحوّل، وقد دعّمت بعض المقاربات الدلاليّة العرفانيّة الحديثة هذا التصرّو المعجميّ عندما أسندت للمعنى خصيصة بنائيّة تنتظمها سلّميّة مفهوميّة (لايكوف وجونسون ١٩٨٧، فوكونيي ١٩٩٧، لانجاكير ٢٠٠٨)

وهذا العمل هو محاولة في تعقّب مظاهر الانتظام في حركية المعنى في المعجم العربيّ من خلال أنموذج هو الفعل «حرق»، وقد حاولنا الكشف عن آليات التحوّل بين معانيه استعارة ومجازاً منشغلين خاصة بحركيّة شبكة الفعل حرق الخطاطيّة وبمبدأ عرفانيّ مركزيّ لم يلق حظّه في المعالجة في الأبحاث العرفانيّة الحديثة ونقصد مبدأ المحو العرفانيّ cognitive mopping.

**الكلمات المفتاحية:** تحوّل دلاليّ - استعارة - مجاز مرسل - شبكة خطاطيّة -

الإسقاط - المحو

١ - دكتورة باحثة في العلوم المعجميّة، مدرّسة في المعهد العالي للغات بتونس، جامعة قرقاج.

## Abstract:

The present paper is concerned with the semantic change in the lexicon which is most importantly accused of chaos and abnormality. Regarding lexicon abnormality, meanings change and are transformed as a result of different social and communication requirements. Accordingly, dealing with such meanings is somehow “fruitless”. However, today’s lexical research has demonstrated the regularity of the semantic component by following the mechanisms of meaning formation and its transformations. Modern cognitive semantic approaches have supported such lexical perception by focusing on the structural property of meaning and its conceptual hierarchy (Lakoff and Johnson 1987, Fauconnier 1997, Langacker 2008..). This paper is an attempt to track the regularity of meaning in the Arabic lexicon through the verb “to burn”. An attempt has been made to reveal the mechanisms of change regarding the different meanings of this verb in terms of metaphor and metonymy, with special focus on the dynamics of “the schema network” of the verb, and on the principle of “mopping”, a central cognitive principle that has not been dealt with in modern cognitive research.

Key words: semantic change- metaphor- metonymy- schema network- mapping- mopping

## مقدّمة

تُعدّ خصيصة التحوّل change خصيصة كونية مميزة لكل اللغات تقريباً، وهي مميزة أيضاً للنظام المعجمي بفروعه المختلفة، فهي مركزية في المكوّن الصوتي وفي المكوّن الصرفي وفي المكوّن الدلالي على حدّ السواء. وهذه المكوّنات هي التي تجعل المفردات - موضوع النظرية المعجمية - أفراداً لغوية لها خصائصها التمييزية. ولا يكون التحوّل في هذه المكوّنات اعتباطياً عشوائياً بل «ينشأ داخل بنية المعجم التي هي جزء من بنية اللغة»<sup>1</sup>؛ غير أنّ تيرته ومستوياته مختلفة في تلك الأنظمة، فإذا كان التحوّل الشكلي بطيئاً نسبياً لما يتمييز به النظامان الصوتي والصرفي من ثبات واستقرار، فإنّ التحوّل الدلالي أكثر امتداداً وأقل استقراراً وأشدّ تعقيداً، وهذا الأمر طبيعي في المعجم لأنّ الأدلة ذات الخصيصة الإحالية المرجعية يُصيها ما يُصيب العناصر التي تحيل إليها من تغيير واندثار، فتسقط أدلة باندثار بعض الموجودات وتظهر أدلة بظهور موجودات أخرى، وليس الاندثار والظهور بالأمرين البسيطين إجرائياً لأنّهما يرتبطان عادة بالتطور التاريخي الطبيعي للمجموعات البشرية، وهو تطور لا يعيه متكلمو اللسان الواحد لأنهم يُعبّرون عن المداليل إمّا بما استقرّ عندهم من أدلة توارثوها عن أجيال سابقة، وإمّا بمفردات يولّدونها توليداً عفويّاً بحسب ما يبيحه النظام الداخلي للغة.

والتحوّل الدلالي وما يفرضه من حركية في المعجم لا يعني مطلقاً أنّه تحوّل يكسر النظام الداخلي للغة لأنّه تحوّل يخضع لضوابط تبرّره كالتعميم generalization والتخصيص specialization، ويكون بالمجاز أو النسخ، وهو تحوّل «معنوي» منطلقه الوجه المدلولي في الدليل وليس تحوّلًا شكلياً منطلقه الوجه الدلالي الذي يخضع بدوره لقواعد تبنيه، كالقواعد الصوتية، نحو الإبدال mutation والتباين dissimilation والإقحام intrusion، أو القواعد الصرفية، نحو الاشتقاق derivation والتركيب أو التجميع composition والنحت blending والاختصار acronymy والمعجمة lexicalization<sup>2</sup>. وقد عرف هذا المبحث في الأدبيات اللسانية الغربية الحديثة تطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة، واقترحت محاولات جادة في بلورة المنحى النظامي الذي يستند إليه التحوّل الدلالي، على

غرار منوال الدلالة الطرازية التاريخية diachronic prototype semantics لجيرارتس ديرك (Geeraerts Dirk 1999 /1997)، وقد استثمر فيه صاحبه مبادئ المنوال الطرازي لتفسير التحول الدلالي بين المعاني الرئيسية والمعاني الهامشية<sup>٣</sup>، ونظرية الاستدلال المحتمل للتحول الدلالي the invited inference theory<sup>٤</sup>، ونظرية Elizabeth of semantic change لإليزابيث تروقت وريتشارد ديشار (Traugott and Richard Dasher 2002)، وقد جعل صاحبها النظرية منطلقها تداولياً وطوراً فيه مفهوم الذاتية subjectivity التي يُجرّكها البعد الاجتماعي للغة<sup>٥</sup>، ونظرية الانتقاء المحادثي Theory of Utterance Selection<sup>٥</sup> لويليام كروفت Croft الذي استفاد في تطبيقها من مبادئ النظرية الداروينية في النشوء والتطور، فهذه النظرية تُمرّز بالبعد البيولوجي في التحوّلات التي تطرأ على اللغة. ثم نجد من انشغل بالتحول الدلالي الناتج عن المجاز، وقد عرف هذا المنحى بدوره توسعاً كبيراً في السنوات الثلاثين الأخيرة، فقد نزل في إطار المبحث التصوري conceptual وانقسم الاهتمام فيه بين ظاهري الاستعارة metaphor والمجاز المرسل metonymy وأثرهما في بناء المفاهيم الجديدة<sup>٦</sup>، وهو الإطار الذي نريد أن نراجع فيه دور الاستعارة والمجاز في التحول الدلالي في المعجم.

فالاستعارة من أهمّ الوسائل التوليدية التي تسهم في خصيصة التحول الدلالي المعجمي، وهي في نظرنا آلية معجمية عرفانية لا تشتغل وفق مبدأ الإسقاط cognitive mapping فحسب بل تشتغل أيضاً بحسب مبدأ تصوّري مهمّ هو مبدأ «المحو العرفاني» cognitive mopping، وهو مبدأ يحوّل ليونة في الانتقال من الاستعارة إلى المجاز في عمليّات التحول. فالإسقاط والمحو آليتان تصوّريتان تشتغلان خطاطياً بشكل تناوبي يسهم في تكثيف الدورين الاستعاري والمجازي في عمليّات التحول الدلالي في المعجم. ونعتمد في تحليلنا على أنموذج هو الفعل «حرق»، وقد حاولنا تتبع مظاهر حركيته الدلالية قاموسياً وذهنياً، فانطلقنا أولاً من توضيح قصور الكفاية التفسيرية للقواميس عن تعليل الحركة الدلالية للفعل «حرق»، وتحولنا ثانياً إلى تتبع تلك الحركة في مستوى الخطاب وحاولنا تبين حدود الكفاية التفسيرية لمنوال الاستعارة المفهومية باستثمار مفهومين اثنين هما مفهوم الشبكة الخطاطية ومفهوم المحو العرفاني.

ولا ندعي أننا نقدّم في هذا العمل تصوّراً نهائياً لآليات اشتغال البنية الاستعارية استناداً إلى مبدأ المحو لضيق المادة التي اعتمدنا، ولكن نكتفي بأن نثير من خلال نموذج الفعل «حرق» بعض القضايا المتعلقة بإشكالية التحوّل الدلالي في مستوى القاموس وفي مستوى الخطاب وكيفيات تفسيرها عرفانياً، وهي قضايا نحتاج دون شك إلى مدوّنة أكثر رحابة لنقيس مدى جدّيتها.

### 1- التحوّل الدلالي في «حرق» بين القاموس والخطاب:

المقصود بالقاموس المعجم المدوّن، أي الرصيد الجزئيّ من الوحدات المعجمية التي يدوّنها القاموسيّ في كتاب بحسب منهج في الوضع يختاره وانطلاقاً من مدوّنة يضبطها، وبالخطاب الوجه المستعمل للغة الذي يستمدّ منه القاموسيّ مادته القاموسية، فإذا سلّمنا بداهة بأنّ «الخطاب ليس إلا استعمالاً تلقائياً عفويّاً منظماً للمعجم لأنّ مادته الأساسية التي يتكوّن منها هي الوحدات المعجمية»<sup>7</sup> تكون الدلالات المضبوطة قاموسياً في مدخل «حرق» مظهرًا للتنوع الاستعماليّ في الخطاب.

ولكن الأمر ليس بتلك البساطة لأنّ ضمان «مصدقية القاموس» - في تقديم كل المعاني المستعملة لـ «حرق» على الأقل - يرتبط بطبيعة المصادر المعتمدة في عملية جمع المدوّنة أي بطبيعة المدوّنة التي تعكس الخطاب المستعمل من جهة وبنوايا القاموسيّ ذاته في انتقاء معانٍ دون أخرى ومقاصده في وضعه للقاموس من جهة أخرى، ولذلك نجد أنفسنا ونحن نبحت في التحوّل الدلاليّ للمفردة «حرق» أمام إشكال حقيقيّ هو مدى تمثيل هذه المعاني المسجلة للفعل في القواميس للمظهر الاستعماليّ، أي إلى أي مدى يمكن أن تكون هذه المعاني محيئةً آنيّاً وليست معاني مترسبةً زمنيّاً؟ ولذلك ذكرنا في التقديم أنّ خصيصة التحوّل في المكوّن الدلاليّ من أهمّ الخصائص التي تُضفي حركيةً وتعقيداً على النّظام المعجميّ، فالحركية تكون زمنيّة كما تكون آنيّة<sup>8</sup>، ومن مظاهر الحركية الزمنيّة لـ «حرق» ما يمكن أن نسجّله من تغير دلاليّ نلاحظه بتتبع دلالاته المختلفة في حقب زمنية متباعدة في قواميس من عصور مختلفة أو في القواميس التاريخية التي يمكن أن توضع لهذا الغرض، ومن مظاهر الحركية الآنيّة ما يمكن أن نتبيّنه من اختلافات دلالية للفعل في فترة زمنية واحدة في حالات الانعزال عن السياق وفي حالات الاندراج فيه، أو فيما يمكن تبينه من تحولات دلالية

قد تطرأ عليه بين المستوى الفصيح والمستوى اللّهجيّ؛ وأمّا التعقيد فيظهر في تشعب مبررات ذلك التحوّل وفي آليات تحقّقه.

## ١-١- التحوّل الدلاليّ في «حرق» من خلال القاموس:

أمام غياب معجم تاريخيّ تامّ المراحل يوثّق معاني المفردات توثيقاً زمنياً متسلسلاً يراعي تغير معانيها وتواريخ استعمالها ويقدم تصوّراً عن تحولاتها الدلاليّة، نحتاج في تتبّعنا للتحوّل الدلاليّ للفعل «حرق» مراعاة جهود القاموسيين العرب القدامى والمحدثين فيما دوّنوه في قواميسهم المختلفة. وقد جعلنا في رصدنا لمعاني هذا الفعل مصادرنّا من القديم والحديث تقديراً لما يمكن أن يفرضه منهج النقل التقليديّ المعتمد في القواميس من تكرار غير وظيفيّ لدلالات الفعل من جهة ولما يمكن أن يقع فيه حماس بعض القاموسيين المحدثين للإحاطة بالمحدث من المفردات العربيّة من إسقاط لبعض المعاني القديمة من جهة ثانية. واخترنا من القديم أربعة مصادر هي كتاب العين للخليل (ت ١٧٥هـ) ومعجم المقاييس لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) وأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٧هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)، وجعلنا معيار الاختيار مسائراً لغرض البحث، فكتاب العين أقدم القواميس العربيّة التي تحوّلت إلى مصدر مركزيّ من مصادر الجمع المعتمدة في القواميس اللاحقة، ومعجم المقاييس أوّل قاموس عربيّ يجمع المفردات بحسب أصول دلاليّة توحدّها، وأساس البلاغة أوّل قاموس عنيّ فيه صاحبه بالفصل بين المعاني الحقيقيّة والمعاني المجازيّة، في حين كان اللسان متأخراً و«غنيّاً بما فيه عن غيره»<sup>٩</sup>، فأتساع مادته مقارنة بما سبقه يجعل البحث فيه متاحاً ومجدياً. واخترنا من الحديث قاموسين اثنين هما «المعجم الوسيط» (١٩٦٠م) وهو أوّل قاموس يصدر عن مجمع لغويّ، وقد اشتمل على مادة قديمة وأخرى مستحدثة من المولّد والمعرّب، ومعجم «الغنيّ الزاهر» (٢٠١٤م) لعبد الغنيّ أبي العزم، وقد جعل مادته من القديم والمعاصر، ووسّع من المدوّنة الحديثة التي شملت الأدب والصحافة والعلوم.

فإن نحن تتبّعنا الدلالات المختلفة التي يمكن أن يحملها فعل «حرق» في هذه القواميس نجد أنفسنا أمام تقاطع للمنهجين الزمانيّ والآنيّ في المعالجة دون أن نكون قادرين على ضبط حدود المنهجين، وهذا التقاطع يبيّن ثبات دلالات بعينها وتطور

دلالات أخرى، وقد ضبطنا هذه المعاني بترابيتها المختلفة في المصادر المعالجة في  
الجدول (أ)

الجدول (أ): أهم معاني «حرق» في القواميس العربية المعتمدة

| الترتيب الدلالي   | القاموس                                 | دلالات حرق  |
|---|---|---|
| المعنى (١)<br>حرق الناب<br>(٢) الأذى (٣)<br>حرق النار<br>(٤) انفصال<br>الحارقة.   | كتاب العين (ق)<br>٥٢ ص ٤٤ / ٣<br>٤٥ / ٣ | حرق: حَرِقُ النَّابِ: صَرِفُهُ إِذَا حَرَقَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ(..). وَأَحْرَقَنِي فُلَانٌ: إِذَا بَرَّحَ بِي وَأَذَانِي(..) وَأَحْرَقَتِ النَّارُ الشَّيْءَ فَاحْتَرَقَ. وَالْحَارِقَةُ: عَصَبَةٌ بَيْنَ وَابِلَةِ الْفَخْذِ الَّتِي تَدُورُ فِي صَدْفَةِ الْوَرِكِ وَالكَتِفِ، فَإِذَا انْفَصَلَتْ لَمْ تَلْتَمِمْ أَبَدًا. وَيُقَالُ: إِنَّمَا هِيَ عَصَبَةٌ بَيْنَ خُرْبَةِ الْوَرِكِ وَرَأْسِ الْفَخْذِ يُقَالُ عِنْدَ انْفِصَالِهَا: حُرِقَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُحْرُوقٌ.  |
| معنى (١)<br>الاحتكاك:<br>ويجمع كل<br>المعاني المستعملة<br>التي تعود<br>إلى معنى<br>الاحتكاك.<br>ومعنى (٢)<br>انفصال<br>الحارقة. | مقاييس اللغة (ق)<br>٥٤ ص ٤٣ / ٢         | (١) حرقت الشيء إذا بردت وحككت بعضه على بعض. والعرب تقول يحرق عليك الأرم غيظا وذلك إذا حك أسنانه بعضها ببعض. وَالْحَرَقُ: النَّارُ. وَالْحَرَقُ فِي الثَّوْبِ. وَمِنْ الْبَابِ قَوْلُهُمْ لِلَّذِي يَنْقَطِعُ شَعْرُهُ وَيَنْسَلُ حَرَقٌ. وَالْحَرَقَانُ: الْمَدْحُ فِي الْفَخْذَيْنِ، وَهُوَ مِنْ احْتِكَكَ إِحْدَاهُمَا بِالْآخَرَى. وَيُقَالُ فَرَسٌ حُرَاقٌ إِذَا كَانَ يَتَحَرَّقُ فِي عَدْوِهِ. وَسَحَابٌ حَرَقٌ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْبَرَقِ. وَأَحْرَقَنِي النَّاسُ بَلْوَمِهِمْ: أَدُونِي. وَيُقَالُ إِنَّ الْمُحَارِقَةَ جِنْسٌ مِنَ الْمُبَاضِعَةِ. وَمَاءٌ حُرَاقٌ: مِلْحٌ شَدِيدٌ الْمُلُوحَةِ. (٢) الحارقة، وهي العصب الذي يكون في الورك. يُقَالُ رَجُلٌ مُحْرُوقٌ، إِذَا انْقَطَعَتْ حَارِقَتُهُ. |

|   |   |   |
|---|---|---|
| <p>المعنى (١)<br/>الحرق المادي<br/>(٢) الحرق<br/>المعنوي</p>  | <p>أساس البلاغة (ق)<br/>١٨٣ / ١ - ١٨٤<br/>١٨٤</p> | <p>أحرقه بالنار وحرقه فاحترق وتحرق ووقع الحريق، وفي الثوب حرق وهو أثر دق القصار. وقد حرق الثوب يحرقه حرقاً. ووقع السفط، في الحراق. وحرق الحديد: برده، وقيل: لنحرقه. ومن المجاز: حرق المرعى الإبل: عطشها... وأحرقني الناس: برحوا بي وآذوني. وحرقتي باللوم. وماء حراق زعاق: شديد الملوحة، كأنها يحرق حلق الشارب. وفرس حراق العدو: يكاد يحترق لشدة عدوه، ومنه ركبوا في الحراقة وهي سفينة خفيفة المرور رأس حرق المفارق، وطائر حرق الجناح، إذا نسل الشعر والريش، كأنه يحترق فيسقط. وإنه ليحرق عليك الأرم، أي يسحق بعضها ببعض فعل الحارق بالمبرد.</p> |
| <p>معنى (١)<br/>الاحتراق<br/>الحقيقي<br/>والمجازي،<br/>والمعنى (٢)<br/>انفصال الحارقة<br/>والمعنى (٣)<br/>معنى الاحتكاك<br/>في الناب.</p> | <p>لسان العرب (ق)<br/>٤٤ - ٤٣ / ١٠ - ٥٨</p>       | <p>حرق: الحَرَقُ، بالتَّحْرِيكِ: النَّارُ. وَقَدْ تَحَرَّقْتُ، والتَّحْرِيْقُ: تَأْتِيْرهَا فِي الشَّيْءِ. (... ) وَفِي حَدِيثِ الْمَظَاهِرِ: احْتَرَقْتُ أَي هَلَكْتُ؛ (... ) وَهُوَ يَتَحَرَّقُ جُوعاً: كَقَوْلِكَ يَتَضَرَّمُ.. وَأَحْرَقْنَا فُلَانٌ: بَرَّحَ بِنَا وَأَذَانَا (... ) وَالْحُرْقَانُ: الْمَذْحُ وَهُوَ اصْطِكاكُ الْفَخْذَيْنِ. الْأَزْهَرِي: اللَّيْثُ الْحَرَقُ حَرَقَ النَّابَيْنِ أَحَدَهُمَا بِالْأَخْرِ (... ) وَحَرِيْقُ النَّابِ: صَرِيْفُهُ.</p>   |

|  |   |  |
|--|---|--|
| <p>المعنى (١) حرق<br/>المبرد، والمعنى<br/>(٢) حرق<br/>الأنياب غيظا<br/>والمعنى (٣)<br/>حرق الثوب،<br/>والمعنى (٤)<br/>انفصال الحارقة<br/>مجمّع معها<br/>معاني الاحتراق<br/>بسبب<br/>الاحتكاك<br/>ومعنى (٥)<br/>الحرق بالنار<br/>ماديا ومعنويا.</p> | <p>المعجم الوسيط<br/>(ق ١٤) / ١ / ١٦٨</p> | <p>حرق الحَدِيد حرقا برده يُقَال حرقه بالمبرد<br/>وأنيابه حك بَعْضَهَا بِيَعْضٍ حَتَّى سَمِعَ لَهَا<br/>صَرِيْفٌ وَيُقَال حرق بأنيابه وَهُوَ يَحْرِقُ<br/>عَلَيْهِ الأَرْم والقصار الثَّوبُ أثر فِيهِ بالدق<br/>وَالنَّارُ الشَّيْءُ أثرت فِيهِ وَيُقَال حرقه بالنَّارِ<br/>فالفاعل حارق وحريق وَالمَفْعُول محروق<br/>وحريق (حرق) حرقا انْقَطَعَت حارقته<br/>وَالثَّوبُ تقطع من الدق وَالشعر والریش<br/>تقطع وَسَقَط واللحية قصر فِيهَا شعر الذقن<br/>عَن شعر العارضين وَفَلَانٌ تشققت أَطْرَافَهُ<br/>فَهُوَ حرق (حرق) انْقَطَعَت حارقته فَهُوَ<br/>محروق (أحرق) النَّارُ الشَّيْءُ حرقته وَيُقَال<br/>أحرقه بالنَّارِ وَالشَّيْءُ أهلكه والحريقة اتخذها<br/>وَيُقَال أحرق فلانا برح بِهِ وآذاه وَأحرقه<br/>باللِّسَانِ عابه وتنقصه وَيُقَال أحرق لنا من<br/>هَذِهِ القصبَةِ نارا أقبسنا (حرق) النَّارُ الشَّيْءُ<br/>أحرقته وَيُقَال حرقه بالنَّارِ والمرعى الأبل<br/>عطشها.</p> |
| <p>المعنى (١)<br/>الحرق بالنار<br/>و(٢) الحرق<br/>المجازي بالنار<br/>و(٣) حرق<br/>المبرد والناب.</p>   | <p>معجم الغني<br/>(٢٠١٤م)</p>             | <p>١. "حَرَقَهُ بِالنَّارِ" : جَعَلَ النَّارَ تُؤَثِّرُ فِيهِ أَثْرَهَا<br/>المُعْهَد، أَصَابَهُ بِهَا. "حَرَقَ النَّارُ الثَّوبَ".<br/>٢. "حَرَقَ أَوْرَاقَهُ" : أَشْعَلَ فِيهَا النَّارَ.<br/>٣. "حَرَقَتْهُ جَمْرَةٌ" : كَوَتْهُ. ٣. "حَرَقَ الأُمُّ قَلْبَهُ"<br/>: أَهْبَهُ، أَثَّرَ فِيهِ. ٤. "حَرَقَ الحَدِيدَ بِالمِبْرَدِ" :<br/>بَرَدَهُ. "حَرَقَهُ بِالمِبْرَدِ". ٥. "حَرَقَ أَنْيَابَهُ" : حَكَّ<br/>بَعْضَهَا بِيَعْضٍ فَسَمِعَ لَهَا صَرِيْفٌ. "حَرَقَ<br/>بِأَنْيَابِهِ".</p>   |

يبدو تعقّب التطوّر الزمانيّ لدلالات الفعل «حرق» قاموسياً أمراً مشكلاً بما أنّنا لا نستطيع أن نثبت سلماً تدريجياً زمانياً لهذه الدلالات يستند على الأقل إلى العصور

التي تنتمي إليها تلك القواميس، ذلك أنّ القواميس القديمة بعد الخليل كانت ذات طابع زمنيّ تنقل مادتهاً مما استقرّ من مادة معجميّة في القواميس السابقة، والقواميس الحديثة وإن ادّعت أنها أخذت على عاتقها إدماج الحادث من المفردات في متونها فإنّ استئناسها بالقديم أوضح وأجلّ<sup>1</sup>، وأثر التّأثر بالسلف واضح في تتبّعنا للدلالات فعل «حرق» في القديم والحديث، وقد وضّحنا هذه الدلالات المتكرّر أغلبها في الخانة الثالثة من الجدول (أ)، فالمعاني التي أثبتنا الخليل في كتاب العين تكاد تتكرّر في كل القواميس اللاحقة. ويكون التعقيد أكثر عندما يتعلّق الأمر بترتيب المداخل الفرعيّة في مادة «حرق»، وهو ترتيب مختلف بين القواميس ولا يستند إلى منهج صريح أو خطة واضحة تيسّر على الباحث تبيّن أوجه التحوّل من معنى إلى معنى، وهو ما يجعلنا نقدّر غلبة المنحى التجميعيّ للمادة في هذه القواميس على المنحى الترتيبيّ، ثم غلبة المنحى الترتيبيّ الخارجي الذي يقدّم المداخل القاموسية الكبرى على المنحى الترتيبيّ الداخليّ الذي يقدّم فروع المدخل الواحد.

واهتمامنا بقضيّة ترتيب المعاني الفرعيّة للمدخل «حرق» مهمّة في سياق هذا البحث لأنها تقدّم تصوّراً خاصاً عن طبيعة التحوّل الدلاليّ كما يراه القاموسيّ نفسه، كأن يكون التحوّل من المعنى الأصليّ إلى المعنى الفرعيّ أو من معنى فرعيّ إلى معنى فرعيّ آخر أو من معنى حقيقيّ إلى معنى مجازيّ، فعملية التقديم والتأخير لتلك المعاني لا تحتكم إلى مبرّر زمنيّ استعماليّ بما أنّ هذه القواميس ليست من صنف القواميس التاريخيّة، ولكنها قد تحتكم إلى مبرّرات أخرى تختلف من قاموس إلى آخر.

ولكنّ هذا المنحى في التحليل لا يقودنا إلى نتائج تذكر، فباستثناء معجم المقاييس لابن فارس الذي قدّم مادته بحسب فرضيّة «الأصول الدلاليّة» في الجذور، وهو ما حتمّ عليه تجميع الدلالات تجميعاً مسمّياتياً وذلك برصد مختلف المفردات المرجعة إلى ذلك الأصل، لا نكاد نستقرّ على منطلق في ترتيب تلك المداخل الفرعية في بقية المصادر؛ فإذا ثبت كتاب العين ومقاييس اللغة والمعجم الوسيط معنى «الحكّ والصريف في الأنياب»، مثلاً، معنى أوّل للفعل «حرق»، يجعله ابن منظور في اللسان وأبو العزم في الغني معنى متأخراً، والمعنى الأوّل المثبت في هذين القاموسين الأخيرين هو معنى «حرق الشيء بالنار» أي إشعاله. في حين يُقرّ معجم الدوحة

التاريخي<sup>١١</sup> استناداً إلى المادة المضبوطة في مرحلتها الأولى أن المعنى الأقدم لـ «حرق» هو «حكّ الناب بغيره حتى سُمع له صريف لشدة غيظه»، وهو معنى يعود تقريباً إلى السنة ٦٠ قبل الهجرة، ويبدو بحسب التقدير التاريخي لنفس المصدر أنه معنى أقدم من معنى «حرق الشيء» أي «أشعل فيه النار» المقدرّ زمانياً بـ ٢٢- قبل الهجرة. ولذلك يبدو تأخير معنى «صَرَفَ» في دلالات «حرق» في بعض القواميس غريباً، بل إن تلك الغرابة قد نجد لها تفسيراً في قاموس حديث كمعجم الغنيّ الذي يُقدّم على ما يبدو المعنى الأكثر شيوعاً وتجرّداً في الاستعمال الحديث لـ «حرق» على المعنى الأقدم، ولكننا لا نجد ما يبررها في قاموس قديم يستمدّ مادته من القواميس السابقة مثل لسان العرب إلا إذا اعتبرنا أن قضية الترتيب الزمنيّ لدلالات الفعل في لسان العرب ليست مقصداً لذاتها، وهذا قد يؤكّده تقريباً تقديمه المعنى المجازيّ (يحرق عليك الأرم) على المعنى الحقيقي (حرق الناب).

ولكن، في المقابل، لئن أشار المعجم التاريخي إلى تقدّم معنى الصريف على معنى إشعال النار، فإنّ الفاصل الزمنيّ بين أول استعمال للفعلين (٦٠ ق هـ / ٢٢ ق هـ) لا يبدو فاصلاً ممتداً حتى نعتمده فيصلاً لإثبات أسبقية معنى على آخر. والحقيقة أن أمراً آخر يمكن أن يكشف جانباً من تعقّد البحث في شبكة العلاقات بين معاني «حرق» ونقصد الترادف الواقع بين «صَرَفَ الناب» و «حرقه»، وهو ليس بالترادف التام بل هو من نوع الترادف النسبيّ، ذلك أن دلالة «صَرَفَ» منسوبة إلى البعير ونحوها تعني «صوّت بأنيابه عند احتكاك بعضها ببعض»، وهو معنى يعود إلى السنة ٨٤ ق هـ، ومرادفه الفعل «صَلَقَ» الذي يعني «حكّ (الناب) بالآخر فحدث بينها صوت»<sup>١٢</sup>، وهذا المعنى - مخصوصاً بالناب - لا يوثقه المعجم التاريخي الذي يجعل المعنى أكثر اتساعاً فهو «أن يضرب القداح أو نحوها بعضها ببعض فيحدث بينها صوت». أمّا «حرق» فإنّه لا يكفي بالتعبير عن معنى «إحداث الصوت عند احتكاك السنّ بالسنّ» بل يضيف معينا تمييزياً يضبط السبب وهو «الغضب والغيظ». وهذه الزيادة المعنوية تجعل «حرق» بهذا المعنى الأخير فرعاً متولّداً عن أصل ولا يمكن أن يكون أصلاً سقط من مكوّناته المعنوية معينم ما.

ويقودنا ضبط المعاني القاموسية للفعل حرق وأشكال ترتيب معانيه الفرعية في

المصادر المعتمدة إلى الانتباه إلى أن تجميع متعلقاته استناداً إلى مبدأ التفرع عن الأصل مثلاً لا تبدو واضحة في أغلب القواميس القديمة والحديثة، فباستثناء القاميس الذي يرجع «حرق» إما إلى معنى «حكّ الشيء بالشيء» وإما إلى «شيء من البدن»، لا نجد بقية القواميس تحرص على الفصل بين الأصول المختلفة المرجع إليها المكوّن الشكليّ «حرق» وإن كانت تقرّ بتلك الأصول في عرض المعاني الفرعية للفعل، بل إنّ «أساس البلاغة» و«معجم الغني» مثلاً لا يضبطان الأصل الثاني للفعل المتعلّق ب«شيء من البدن» أي «الحارقة» الذي أقرّه ابن فارس. وينتج عن التصرّو الفاصل بين الأصل (١) «الاحتكاك والحكّ» والأصل (٢) «انفصال الحارقة» تبويب ثنائي للمادة يكون فيها التحوّل الدلاليّ في حرق مرتبطاً بأحد الأصول، وهذا يعني أنّ الفعل «حرق» من المشترك اللفظي الذي يجب أن يُخصّ بمدخلين مستقلّين عند وضع المادة القاموسية، لكنّه يصبح من المشترك الدلاليّ عندما نتحدّث عن علاقة المدخل الواحد بما يحويه من معانٍ فرعية. وينتج عن التصرّو الذي لا يقرّ بفرضية المعنيين الأصليين تداخل في تجميع الدلالات الفرعية، من ذلك مثلاً أنّ لسان العرب لا يراعي خصوصية الأصل ويعرض معنى «انفصال الحارقة» بين معنيين من معاني الأصل «الاحتكاك بين شيئين»، في حين يُرجع المعجم الوسيط بعض المعاني المتّفق في أغلب القواميس على ردها إلى الأصل الأوّل مجازاً إلى الأصل الثاني «انفصال الحارقة» فتكون معاني «تقطع الثوب والشعر والريش..» مرجعة إلى دلالة «تقطع الحارقة».

ثم يبدو الاختلاف بيننا وبين القاموسيين في تمييزهم بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فالزخشي مثلاً يفصل فصلاً صريحاً بين معنيين حقيقيين لحرق وهما «حرق النار» و«حرق الناب» - وهما معنيان حسيان - والمعاني المجازية المتولّدة عنهما، ولكننا لا نجد هذا الفصل الصريح بين الحقيقة والمجاز في بقية القواميس، ثم إنّ الاختلاف يظهر في تقدير المعنى الحقيقي ذاته، ونحن من خلال المصادر التي اعتمدنا أمام فرضيات هي:

- (أ) أن يكون المعنى الحقيقي هو «حرق النار الشيء» وعن هذا المعنى تولدت معانٍ مجازية منها «حريق الناب» و«الأذى النفسي»...
- (ب) أن يكون المعنى الحقيقي هو «صرف النَّابِ النَّابَ» وعنه تولدت معانٍ

- مجازيّة منها «الحرق بالنار» و«الأذى النفسي» و«حراق الماء» و«الفرس الحرق»..
- (ج) أن يكون المعنى الحقيقي مجرداً من الإسناد فيه معنى الاحتكاك مطلقاً وتستوي في هذه الحالة المعاني الحقيقيّة والمجازيّة لأنّ مبرر التحوّل ليس المجاز.
- (د) أن تكون المعاني المجازيّة متولّدة من أكثر من معنى حقيقيّ نحو اعتبار المعجم الوسيط كما ذكرنا سابقاً معنى «قطع الثوب بسبب الدق» مرجع إلى معنى «الحرق في الناب» وإلى «معنى الحارقة».

ولذلك فإنّ التمييز بين المعاني المحسوسة والمعاني المجردة - وإن كان مدخلاً تصنيفياً مناسباً للمعاني الفرعيّة - تمييز لا جدوى منه بما أنّ المصادر المعتمدة لا تحرص على الالتزام به، إذ لا يختلف - في هذه المصادر - التحوّل الدلاليّ من «حرق الشيء بالنار» إلى «حرق قلبه» عن التحوّل الدلاليّ من «حرق الشيء بالنار» إلى «حرق نابه»، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في الغنيّ الزاهر مثلاً وقد سجّل المعاني تراتبياً بالانتقال من «حرق النار» إلى «حرق القلب» إلى «حرق الناب». ولكن إن نحن اعتبرنا الترتيب مجرد ترتيب شكلي غايته التجميع دون تنظيم سنجد أنفسنا أمام إمكانيات كثيرة من التأويل المحتاجة إلى إعادة ضبط للاستعمالات المختلفة للفعل حرق.

ويمكن أن نخلص من خلال تحليل التحوّل الدلاليّ في مادة حرق قاموسياً إلى النتائج التالية:

الحركيّة الدلاليّة في مادة حرق، فقد ضبطنا لها في المصادر التي اعتمدنا حوالي عشرة معان.

صعوبة تبيّن شبكة الترابط المسؤولة عن تلك الحركيّة الدلاليّة، فلا التمييز بين الاشتراك اللفظي والاشتراك الدلاليّ، ولا التمييز بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ أو بين المعنى الحسيّ والمعنى المجرد يمكنه أن يعلل التحوّل من معنى إلى آخر، وقد بيّنا أن الأمر في ذلك يعود إلى اختلاف القاموسيين أنفسهم في ضبط هذه المعاني وفي تقدير العلاقة بينها.

تولّد أغلب المعاني المجازية إما عن معنى «حرق النار الشيء» / «حرق الناب» الناب» وإما عن معنى «انقطاع الحارقة»، والأصلان على اختلافهما يلتقيان في عنصر

دلاليّ رئيسيّ هو (الاحتكاك)، ولكنّ «حُرقت النارُ الشيء» و«حرق النَّابُ النَّاب» لا نجدُهما معنيين متكافئين حتى نوازن بينهما كما فعل الزمخشري مثلاً عندما عدّهما معنيين حقيقيين، لأنّ [الاحتكاك] في «حُرقت النارُ الشيء» معينم جزئيّ غير وظيفيّ ولكنّه في «حرق النَّاب النَّاب» معينم رئيسيّ وظيفيّ، ولذلك يبدو معنى «الحرق بالنار» معنى مجازياً متولّداً تولّداً خفياً معقداً لأنّ المعنى الجديد فيه لا ينشأ استناداً إلى مبدأ المشابهة بحسب قانون البناء الاستعاريّ البلاغيّ التقليديّ، إذ لا وجود لعلاقة مشابهة مباشرة بين «حرق النَّاب» و«حُرقت النارُ الشيء»، ولا وجود لتناسب بين المجال المصدر والمجال الهدف بحسب أسس التأويل التصوريّ عند لايفوف وجونسون<sup>١٣</sup>، ولكنّ الأغلب أنه معنى مجازيّ انقطع عن أصوله واستغنى عن السبب (الاحتكاك) واكتفى بالنتيجة (النار) ثم تحوّلت تلك النتيجة إلى أصل مولّد لأشكال استعاريّة أخرى مختلفة سنحاول تبينها في العنصر التالي.

## ٢-١- التحوّل الدلالي في حرق من خلال الخطاب: المشترك بين التضمّن والتلازم

إنّ أهمّ نتيجة يقودنا إليها تتبعنا للمعالجة القاموسية للفعل «حرق» هي صعوبة تحليل التطوّر الدلالي الطارئ على هذا الفعل استناداً إلى فرضيّتيّ الأصل والفرع والحقيقة والمجاز، فالتداخل بين التأويلات واضح في ما قدّم من تعريفات للمادة في القواميس المعتمدة، سواء في إثبات الأصول وفروعها أو في ضبط الحقيقة وتجوّزاتها، وهي نتيجة متوقّعة، ذلك أن المعاني تترسّب دياكرونيا بشكل يصعب معه تبين وجوه التحوّل فيها. لذلك فإنّ تعويلنا على نوايا القاموسيين في وضعهم لهذه المادة وترتيب فروعها لم يكن نافعاً. ولكننا يمكن أن نستفيد من جهة أخرى من تلك المادة القاموسية بإعادة تصنيفها تصنيفاً شكلياً تعالقياً، وهذا يقتضي أن نلتمت إلى حالات التركيب التي يمكن أن يظهر فيها الفعل «حرق» متعالقاً بغيره من الوحدات المعجميّة، ويكون بحثنا في دلالات «حرق» في السياق إذن مجرداً من أحكام مسبقة تقدّم تصوّراً على تصوّر آخر بما أنّه يرصد حركية «حرق» في الخطاب، ولكنّه - في المقابل - سيكون مرتبطاً بقضية مهمّة هي قضية المشترك الدلالي polysemy التي فرض علينا هدف البحث معالجتها ضمن مفهومين عرفانيين مركزيين هما مفهوم

الشبكة الخطاطية ومفهوم المحو العرفاني، وسيكون السياق الاستعمالي في الأمثلة المعتمدة موسّعاً لأننا لن نكتفي بما تمدّنا به العربية الفصحى من أمثلة ولكن سيمتدّ بحثنا إلى المستوى اللّهجيّ في الدارجة التونسية الذي يكشف وجوها متنوّعة من وجوه التطوّر في استعمالات «حرق»، وهي استعمالات ذات صلات وثيقة باستعمالات الفصحى ندوّنها في الجدول (ب)، وهو تدوين تجميعي لا يعني الترتيب فيه موقفاً من الأسبقية الدلالية، وقد بدأنا فيه بالمستوى الفصيح ثم المستوى العامي، ووضعنا العامي الذي لا مقابل له في المستوى الفصيح بين قوسين وميّزنا بين حالات الإسناد المولّد للمشترك (الخط الرقيق) وحالات الإسناد المولّد للتلازم (الخط الغليظ).

|   |  |
|---|--|
| ١٢. (حَرَقَ الإقامة): تجاوز الفترة المسموح بها.       | ١. حَرَقَ النَّابَ: حَكَّهُ بالنَّابِ. / مرادف صلق / صرف /           |
| ١٣. (حَرَقَ إلى الخارج): سافر بحرا دون تأشيرة.        | ٢. حَرَقَتِ النارُ الشَّيْءَ: فاحترق.                                |
| ١٤. حَرَقَ المرحَلُ: تجاوزها بسرعة.                   | ٣. حَرَقَ الحديدُ: برده.   |
| ١٥. حَرَقَ قلبه: ألهبه.                               | ٤. حَرَقَ المرعى الإبلَ: عطشها.                                      |
| ١٦. يحرق عليك الأرم: يشعر نحوه بالحقد والغیظ.         | ٥. حُرِقَ الرجلُ: تقطعت حارقته.                                      |
| ١٧. (حَرَقُو): حطّ من شأنه.                           | ٦. حُرِقَ الثوبُ: تقطع من الدق.                                      |
| ١٨. (حَرَقَ الفيلمُ) أوراقه: فضحه وكشفه.              | ٧. حُرِقَ الريشُ واللحية: تقطع وسقط / قصر شعر الذقن عن شعر العارضين. |
| ١٩. (حَرَقُ رُوحو): اجتهد كثيرا.                      | ٨. حُرِقَ الرجلُ: تشققت أطرافه.                                      |
| ٢٠. (حَرَقُ رُوحو بروحو): عاد عليه الضرر.             | ٩. حَرَقَ الدُّهونَ: حلّلها.   |
| ٢١. (حَرَقُكُ عليه الحليب): أحسست بالعطف الأخوي نحوه. | ١٠. (حرق البنزين): قوّى في السرعة.                                   |
|   | ١١. حَرَقَ الصَّوَاءَ: لم يحترم إشارة المرور وتجاوزها.               |

يقدم الجدول (ب) إذن واحدا وعشرين نموذجا استعمالياً للفعل «حرق»

منها خمسة عشر أنموذجا تمثل حالة اشتراك ولدها نوع من التّضامّ أو التعالق بين الفعل «حرق» وفواعل مختلفة، وستة نماذج تمثل حالة تلازم. والتضامّ المولد للمشارك والتلازم المولد للعبارة وإن كانا مظهرين متماثلين من حيث كونهما حالتين مقابلتين لحالة الأفراد في الوحدة المعجمية فإنّ بينهما فرقا جوهرياً، لأنّ التّضامّ هو الحالة التركيبية التي تكون عليها الوحدة المعجمية، وهي حالة تدرجها في نوع من التعالق يخوّل تولّد مركّبات جزئية أو جمل تامة بحسب ما يسمح به القيّدان التركيبي والدلالي<sup>١٤</sup>، أمّا التلازم فهو حالة تركيبية متكلسة، أي هي تجميع عبارتي مخصوص لوحدة معجمية فرضته تجربة الجماعة اللغوية، وهو تجميع متكلس لا يقبل التّغيير أو التّحويل أو التّبديل. والوحدة المعجمية عندما تكون في حالة تلازم تُسمّى عبارة، وهي نوعان عبارة تحليلية *analytic expression* وعبارة اصطلاحية *idiomatic expression*، والتّمييز بين العبارة التحليلية والعبارة الاصطلاحية مثار إشكال في الأبحاث اللسانية الحديثة، فقد اقترحت معايير مختلفة للتّمييز بين حالتَي التلازم أهمّهما قابلية العبارة للترجمة الحرفية<sup>١٥</sup>، فالعبارة التحليلية تقبل الترجمة الحرفية والعبارة الاصطلاحية لا تقبل الترجمة، ومبرر قبول العبارة للترجمة من عدمه هو مدى تعبيرها عن خصوصية في تجربة الجماعة اللغوية الواحدة، فمتى كانت تلك العبارة خاصّة بجماعة لغوية ما لا يشاركها فيها جماعة أخرى كانت العبارة اصطلاحية، ومتى كانت العبارة معبرة عن تجربة مشتركة بين جماعات لغوية مختلفة كانت عبارة تحليلية، ولذلك فعبارة «حرق عليه الأرم» مثلاً عبارة اصطلاحية ولكنّ عبارة «حرق نفسه» *se brûler les ailes* عبارة تحليلية.

والحقيقة أنّ ما يشغلنا في هذا المستوى من التحليل ليس معيار الفصل بين حالات التلازم بل ما يعيننا هو مظاهر التحوّل الدلاليّ في (١) حالة التّضامّ أي التعالق المولد للمشارك وفي (٢) حالة من حالتَي التلازم، فأمثلة التّضامّ المضبوطة في الجدول (ب) لا تعرض مظهراً واحداً من مظاهر التّضامّ لأنّ «القيود» التي تبرر تعالق الفعل «حرق» مع غيره من الوحدات قيود من مستويات مختلفة منها ما هو تركيبية ومنها ما هو دلاليّ (لاحظ الفرق بين حرق فعلاً لازماً وحرق فعلاً متعدياً من جهة ولاحظ أيضاً الفرق بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول ثم لاحظ من جهة ثالثة طبيعة الفواعل المسند إليها الفعل في كل مرة بين الحقيقة والمجاز)، وهذه القيود هي التي

تسمح بقبول تضامّ من قبيل «حرق الشيء» أي «أشعل فيه النار» و«حرق الضوء» أي «تجاوزه ولم يحترمه» و«حرق الدهون» أي «حلّلتها» ويمنع حالات أخرى من التّضام من قبيل «حرق الماء» مثلاً أو «حرق التراب»، وقبول أنواع التّضام هذه يخوّل الحديث عن «حرق» باعتباره حالة من الاشتراك.

وتتبع حالات الاشتراك في حرق التي يضبطها الجدول (ب) يكشف فعلاً أنّ «الاشتراك ليس انزياحاً لغوياً ولا اعتباطاً بل هو قائم على نظام استعمال آليّ، والمطلوب (هو) تحديد هذا النظام داخل بنية المشترك»<sup>16</sup> غير أنّ ضبط وجوه ذلك النظام كان - ولا يزال - محلّ خلاف ونقاش كبيرين في الفرضيات اللسانية التي انشغلت بالبحث في قضية المشترك<sup>17</sup> ويعود هذا الجدل اللسانيّ إلى تنوع الحالات الاستعمالية للمشارك وتجددها وتداخلها بشكل قد يصعب معه التمييز بين حالات الاشتراك اللفظي homonymy وحالات الاشتراك الدلاليّ polysemy، فإذا كان شرط التمييز بين نوعي الاشتراك هو تلك الصلات التي تجعل المفردات مترابطة لعلّة ما<sup>18</sup>، فإنّ مبرر تلك الصلات متعدّد، من قبيل الصلات التضمينية الطرازيّة أو الاشتقاقية أو الاستعارية... بل إنّ البحث في تلك الصلات عرفانياً فتح باباً من التأويل مهّد لتجاوز التصنيف الدلاليّ-اللفظيّ للإقرار بإمكانية معالجة المشترك عامّة بحسب ترابط حلقيّ في شكل تشابه أسري Family Resemblance تفرضه تأثيرات طرازيّة Prototype Effects تجعل المعنى (ج) مثلاً مرتبطاً بالمعنى القاعديّ (أ) من خلال وساطة المعنى (ب). وتنتهي تلك التأثيرات بالباحث إلى تبيين مصادر الصلات وأصولها بشكل يبرر انتظام انتشار المعنى القاعديّ بين المعاني الاشتقاقية<sup>19</sup>.

ولكنّ تقدير المعنى القاعديّ ذاته يختلف باختلاف خصيصة الانتفاء المقوليّ في الوحدات المشتركة، والمبادئ العرفانية التي يمكن أن تكون منطلقاً لضبط المعنى القاعديّ في الأسماء على غرار مبدأ البروز salience<sup>20</sup> مثلاً لا تنجح في تأويل قاعدية معنى على حساب معنى آخر في الأفعال، لأنّ الأفعال وإن احتفظت بخصيصة الإحالة المرجعية المميّزة للوحدات التامة في المعجم فإنّها لا تكتسب في الحقيقة «الثبات الإحاليّ» والبعد الماديّ المميّزين للأسماء، لذلك فإنّه من اليسير

تعليل حركة التحوّل الدلاليّ من الأسماء ذات الإحالة المادية إلى الأسماء ذات الإحالة المجردة مثلاً، ويتعدّد ذلك في الأفعال، فمرجع دلالات «عين» في المعجم مثلاً منطلقه دلالة «عضو البصر» واستناداً إلى جملة من التأثيرات امتد هذا المعنى في دلالة «عين الماء» و«عين القوم» و«عين الشمس»... لكن في المقابل يكون من العسير أن نضبط بداية التحوّل في «ضرب» في حالات من قبيل «ضربه» و«ضرب على الرسالة» و«ضرب في الأرض» و«ضرب الأوراق» نتيجة تعقّد البنية المفهومية هذه الأفعال بسبب تنوّع إمكانيات التعالق في الاستعمال.

ولعلنا نجد ما يؤكّد هذا الفرق بين المقولتين في ما نبّه إليه لانجاكر Langacker في مقولته العرفانيّة لأقسام الكلام عندما جعل مقولتيّ الأسماء والأفعال مقولتين متقابلتين تقابلاً تقاطيباً Polar opposites<sup>21</sup> ناتجاً عن اختلاف جوهريّ في الخصائص الأساسيّة للمقولتين، فالأسماء غير الأفعال (وحتى الحروف والصفات والظروف) لأنّها تعرض أشياء things لا علاقات relationships، ومن خصائص الأشياء أنّها «تُفهم» بشكل مستقل conceptually autonomous، وما يمنحها استقلالها المفهوميّ هو بعدها الماديّ الذي يضبط جوهرها وحدودها وموقعها في الفضاء، فالأسماء «تُفهم» بغضّ النظر عن العناصر المؤثّثة للحدث في مشهد ما<sup>22</sup>، وتقتضي مفهمتها قدرتين عرفانيّتين تفرضهما الخصيصة الماديّة للأشياء هما التجميع grouping والتجسيد reification، أمّا الأفعال فإنّها لا تُفهم إلا بمفهمة تلك العناصر، فهي إذن في تبعيّة مفهومية conceptually dependent لأنّها تفاعلات طاقية energetic interactions، بمعنى أنّها تعرض وجوه التفاعل بين المشاركين في حدث ما، ومن خصائص هذا التفاعل النّقل transfer والتحوّل change، فالأفعال تنقل تفاعلات المشاركين وتموضعاتهم وتحركاتهم عبر الزمن استناداً إلى زوايا نظر مختلفة. وتقتضي التبعيّة في مفهمة الأفعال قدرتين عرفانيّتين غير اللتين تقتضيهما مفهمة الأسماء وهما القدرة على ضبط العلاقات داخل المشهد apprehending relationships والقدرة على تعقبها زمانياً tracking relationships تعقباً يفرض نوعاً من المسح يعرف بالمسح التتابعيّ sequential scanning، وهو نمط من المعالجة العرفانيّة يشغل عند مشاهدة صورة متحركة... حيث تكون الأوضاع المتعاقبة التي تكوّن الحدث المدرك متسلسلة وآنيّة<sup>23</sup>

ولكن إذا كان المسح نمطا مميزا للأفعال دون الأسماء فإن إجراء فضائيا على «الأشياء» التي تعرضها الأسماء وارد<sup>٢٤</sup> إذ به يتم تمثّل امتدادها الفضائي في كليته لا في تفاصيله وجزئياته.

وخصيصة «تبعية المفهمة في الأفعال» وما تقتضيه من قدرات عرفانية تنسحب دون شك على الفعل «حرق»، فحالات التّضام الإسنادية في حرق تضعنا أمام خمسة عشر معنى، هي «حالات تفاعلية طاقية» بين عناصر تشترك في بناء المشهد، ومفهمة الحدث في كل مشهد تقتضي مفهمة الكيانات المشاركة في بنائه وضبط العلاقات داخله، إذ تتربط تلك الكيانات ترابطا يفرضه عمليات ذهنية مختلفة فتتمثل كلاً متماسكا متعلقا بالحدث عبر نمط المسح الفضائي، ويعيننا في حالات الاشتراك في الفعل حرق المسح الفضائي لا المسح الزماني، أي المسح المنعقد على إدراك الكيانات المشاركة في الحدث من حيث امتدادها ومجالها لا مفهمة الحدث نفسه لأن مفهمة تلك الكيانات هي التي تمهد لمفهمة مضمون الحدث، بل إن مفهمة تلك الكيانات هي التي من شأنها أن توضح حدود الاشتراك في الفعل «حرق». و«الكيانات» التي تبني المشاهد في «حرق» نوعان (١) كيانات تحتفظ بخصيصة التجسّد والتجميع في درجة عليا من التمثيل من قبيل «الناب» و«الشيء» و«الثوب» و«الشعر» و(٢) كيانات يمكن تقدير هاتين الخصيصتين فيها لكن بدرجة أدنى من قبيل «الدهون» و«الإقامة» و«المراحل» و«الضوء»، والفرق بين الاثنين ناتج عن الفرق بين طبيعة المشاهد التي تشارك فيها هذه الكيانات وهي إمّا مشاهد مرئية (في الحالة الأولى) مبعثها التجربة وإمّا مشاهد متخيّلة (في الحالة ٢) يبينها الذهن، ولكن المشاهد على اختلافها تحتفظ ببنية تصويرية واحدة لأنّها تقدّم أنموذجا واحدا مشتركا لمظهر العلاقات بين الفواعل، ف«حرق» في حالات الاشتراك الخمس عشرة يستدعي عنصرين اثنين يبنيان المشاهد هما بحسب اصطلاح طالبي المعارض antagonist<sup>٢٥</sup> والقائم agonist ، والتفاعل بين الطرفين تبرره خاصية التعدية في الفعل، وهي خاصية مميزة لكل حالات الاستعمالية، وحتى الحالة الوحيدة التي ورد فيها الفعل لازما «حرق الناب» فإنّ حالة اللزوم فيه ليست مطلقة بما أنّها تختزل حالة تعدية مقدرة «حرق الناب» الناب»، وحالات البناء للمجهول في «حرق الثوب والشعر...» من جهة أخرى تفترض في عمق بنيتها الدلالية حالة تعدية لا حالة لزوم. ثم تشترك المشاهد من

جهة أخرى في طبيعة العلاقة بين المعارض والقائم، فالمعارض في كل حالة اشترك من الحالات المضبوطة في الجدول (ب) يمارس قوة ديناميكية dynamic force<sup>٢٦</sup> على القائم هي «سبب» في ما يطرأ عليه من تغيير ينقله من حالة حركة إلى حالة سكون أو العكس، وتحوّل هذه القوّة تجميع حالات الاشتراك تحت نظام خطاطي<sup>٢٧</sup> يوحدّها وينظّم ما بدا فوضوياً في معانيها.

ولكنّ نتائج تلك القوّة تختلف باختلاف طبيعة القائم ذاته، نسجّل ذلك الاختلاف كما يلي:

حرق النابّ النابّ: أحدث صوتاً.

حرق الحديد: غير شكله.

حرق الشعر: تقطع.

حرق النار الشيء/ حرق قلبه/ البنزين: ألهبه وأتلفته

حرق الإقامة: التجاوز

واختلاف تلك النتائج وتضاربها (حسيّ، مجرد، مسموع، مرئي، متخيّل، حقيقيّ...) هو الذي من شأنه أن يخفي أوجه الترابط التي يمكن أن تقوم بين حالات التعالق المختلفة، ولكنّه في المقابل لا يمكن أن يحجب مظاهر امتداد المشترك في الاستعمال وقيامه محرّكاً لحالات التلازم، فالعبارات التي وثّقها الجدول (ب) هي امتداد استعماليّ لحالات المشترك لأنّ كل عبارة من العبارات المقدمة يولّدّها معنى بعينه من معاني حرق، فـ «حرق عليك الأرم» مرتبطة بـ «حرق الناب»، و «حرق نفسه» مرتبطة بـ «حرق الدهون أو البنزين» و «حرق الحليب» مرتبطة بـ «حرق قلبه» وبـ «حرق الشيء بالنار» و «حرق الفيلم» مرتبطة بـ «الحرق بالنار» و «حرق» مرتبطة بـ «حرق الشيء».... ولا نجد في حالات التلازم ما يقدّم معنى لحرق يخرج عن معانيه المشتركة التي ضبطنها في الجدول نفسه، وهكذا يجوز فعلاً أن نتحدّث عن شبكة خطاطية معقّدة تقوم على مجموعة من الأوائل التصوريّة يمكنها أن تفسّر حركيّة «حرق» في المعجم بين التّضام والتّلازم.

## ٢- البنية الخطاطية في تعليل حركيّة حرق في المعجم:

إن الإقرار بتسلّط مفهوم القوة الديناميكيّة على معاني حرق الحقيقيّة والمجازية، الحسية والمجردة على حد السواء يقودنا إلى تصوّر فرضية انتظام هذه المعاني وتحركها في فضاء خطاطي معقّد هو المسؤول عن حيويّتها وتحولاتها الاستعماليّة، ولكنّ نجاح خطاطة القوّة في الكشف عن أوجه التقارب في معاني حرق بين التّضام والتّلازم لا يمتدّ لتعليل التحوّل من معنى إلى آخر، وهي لذلك في تصوّرنا خطاطة غير قادرة على بناء متصوّر «حرق» كما تمثّلناه من خلال الجدول (ب)، ولعلنا بذلك نساير فرضيّة كلوزر Clauser و كروفت Croft التي فصلت بين الخطاطات وميّزت بين ما يظطلع منها ببناء المعنى وبين ما يكتفي بضبط خصائص تصوّريّة في المشهد من قبيل خطاطة السلم scale وخطاطة الدورة cycle، وخطاطة القوّة في هذا المستوى من التحليل شبيهة بخطاطة السلم والدورة بما أنّها مجرد بعد إدراكيّ للبنية مستقل عن مضمونها المفهوميّ، وهذه الخطاطات إذن تمثّل «مجالّات إدراك» وليست هي «المدركات» عينها<sup>٢٨</sup> ويدفعنا هذا الاستنتاج إلى تعقّب الخطاطة schema التي تبني حرق، وهي بحسب روملهارت Rumelhart عبارة عن شبكة من العقد المترابطة<sup>٢٩</sup> وحسب لانقاكر شبكة خطاطيّة<sup>٣٠</sup>، نحاول في بقية البحث التعرّف إلى خصائصها ومبادئ اشتغالها.

## ٢-١- بنية الشبكة الخطاطيّة في «حرق»

يمكننا معالجة الفعل حرق إذن بإرجاعه إلى بنية شبكيّة دقيقة ذات تفرّعات عقديّة تبني دلالاته المختلفة، كل عقدة في الشبكة تناسب مقولة مفهوميّة ما أو خطاطة عليا تتفرّع إلى مقولات صغرى، ذلك أنّنا إذا سلّمنا بالتصوّر العرفانيّ الذي يجعل لكل وحدة خطاطتها، فإنّ تلك الخطاطة الراسخة ذات علاقات مختلفة بحالات الاستعمال لأنّها تمثيل للاستعمال في أقصى مظاهر تجرّده، وتلك العلاقة الجامعة بين الخطاطة وحالات الاستعمال هي أساس تكون المقولة. وتترابط تلك العقد خطاطيا على امتداد الشبكة نتيجة تأثيرات داخلية من أنواع مختلفة، فتتفرّع تفرّعا شعاعياّ قد تغيب فيه ضوابط الاتّساع ومبرّراته. وتخضع المقولة في الشبكة إلى

عملية بلورة elaboration يقوم فيها عنصر خطاطي (هي الأسماء التي تعلق بها الفعل حرق) ببلورة مكوّن آخر (هو معنى حرق) فالنار مثلا تبلور معنى الإشعال والناب يبلور معنى الاحتكاك الخ... ولذلك تعد البلورة عتبة مقوّلية مهمة<sup>٣١</sup>، ولذلك أيضا نبّهنا أن معالجة الفعل عامة-ومنه للفعل حرق- لا يمكن أن تتحقق إلا بمعالجة الأسماء التي تتعالق بها.

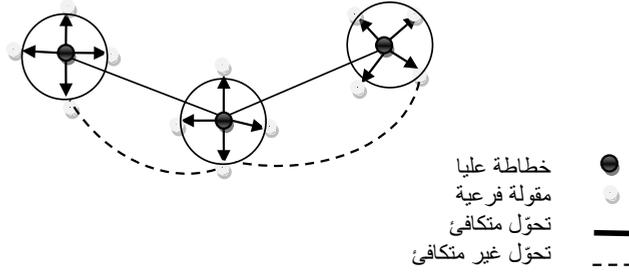
ولا يختلف مفهوم الخطاطة عملياً عن مفهوم المنوال العرفاني<sup>٣٢</sup> من حيث احتكام بنيتها التجريدية لعقود تجريبية وقيود مقامية تبررها، ولكنها تختلف عنه بقيامها على مبدأ مركزيّ إليه يُعزى تكوّنهما باعتبارها صورة مفقّرة للمعنى في أقصى مستويات تجريده ونقصد مبدأ الجسدنة Embodiment، والمقصود بالجسدنة أن تُبنى المفاهيم استناداً إلى وساطة الجسد، وهي وساطة تسمح بتمثّل المجرد كائناً محسوساً، تقديراً أنّ المعنى الحسيّ هو المعنى الأكثر بروزاً في شبكة المعاني الممقولة<sup>٣٣</sup>، ولكنّ هذا المبدأ يكاد يسقط في شبكة «حرق» وينتهي بسقوطه -مبدئياً- موجب الترابط الاستعاري الذي يُظنّ أنّه أساس التوسّع الدلاليّ، فمعاني حرق من (١) إلى (١٥) لا تُتمثل جميعها مثلاً عبر عملية جسدنة تكتسب من خلالها الكيانات المشاركة في بناء المشهد في (٩) و(١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٤) و(١٥) نفس الخصائص المميزة للكيانات في (١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) و(٧) و(٨) أي «التجميع» و«التجسيد»، فالوساطة المادية لا نراها -مبدئياً- تبرّر التحوّل من معنى مقولة «الاحتراق» مثلاً إلى تفرّعات مقولة «الحرق». ولذلك فإنّ الخطاطات التي تبني معاني حرق ليست جميعها على درجة واحدة من التكافؤ، وحركية هذه المعاني تُفعل بحسب مستويات الترابط بين خطاطاتها. ونسجّل في هذه الشبكة - استناداً إلى معيار الترابط - ثلاثة أنواع من التحوّل (الرسم أ):

١. تحوّل متكافئ خارجيّ يظهر بين الخطاطات العليا كالتحوّل من معنى الاحتكاك مطلقاً إلى معنى التقطّع (النتيجة).

٢. تحوّل متكافئ داخليّ بين تفرّعات الخطاطة العليا كالتحوّل من حرق الناب إلى حرق الحديد في الخطاطة المرجع إليها معنى الاحتكاك وهي هنا خطاطة الربط، أو التحوّل من حرقت النار الشيء إلى حرق الدهون وحرقت البنزين

المرجعة إلى خطاطة الهدف - النتيجة.

٣. تحوّل غير متكافئ يكون من تفرّيعات الخطاطة العليا (أ) نحو تفرّيعات الخطاطة العليا (ب) ومثاله التحوّل من «حرق الحديد» في خطاطة الربط إلى «حرق النار الشيء» في خطاطة الهدف، ومن «حرق النار الشيء» في خطاطة الهدف إلى «حرق الضوء» و«حرق المراحل» في خطاطة الفصل.



### الرسم أ: التحوّل في شبكة حرق الخطاطية

فالتحوّل من المعنى (١) «حرق الناب» إلى المعنى (٧) «حرق النار الشيء» أو «حرق الثوب»... مثلاً هو تحوّل من خطاطة تبني المشهد (الاحتكاك) وهي خطاطة الربط link إلى خطاطة تبني نوعاً من أنواع الهدف goal أي النتيجة (النار - القطع)، والتحوّل من «حرق النار الشيء» إلى «حرق الضوء/ المراحل/ الإقامة» هو تحوّل إلى بنية خطاطة الفصل، ولكنّ التحوّل من الهدف (١) (إشعال النار) إلى الهدف (٢) (حرق الثوب) ينشأ داخلياً بين خطاطتين متكافئتين بحسب علاقة مجانسة، فإشعال النار وتقطع الثوب أو الشعر كلها معانٍ متشابهة من حيث هي نتيجة فعل الاحتكاك، و«حرق الدهون» و«حرق البنزين» توسيع استعاري لمعنى الحرق بالنار بما أننا نتمثل عمليتي إذابة الدهون وتبخّر البنزين بعملية حرقها بمفعول الحرارة، ويمكن لهذا الأصل الاستعاري أن يمتدّ لاستعمالات أخرى كثيرة مثل «حرقته الشمس»، و«حرقته الحمّى»، و«حرقته الغيرة»....

وكّل هذا يعني أن إشعاع المقولات على امتداد الشبكة يكون ببلورة المعنى بين الخطاطات غير المتكافئة أي المكونة للمعاني للعقد وتوسيعه الاستعاري بين

الخطاطات المتكافئة، فالكيانات المثلة للحدث (أو الواقع عليها الحدث) في شبكة «حرق» تترايط بشكل يبرر اجتماعها حول فعل واحد هو «حرق»، ولا يشترط ترابطها وجود مفهوم قاعديّ - طرازيّ إليه ترجع بقيّة المفاهيم لأنّ الانتشار الدلاليّ لمعاني «حرق» في هذه الشبكة والناتج عن عمليات التّضام انتشار دائريّ عنكبوتيّ وليس انتشاراً عموديّاً، ذلك أنّنا لا نجد في متعلقات حرق الخمسة عشر ما يصلح أن يكون طرازاً إسنادياً بالنسبة إلى بقيّة المتعلّقات، ولذلك اختلفت القواميس في ضبط المعنى الأول لهذا الفعل، فالسمات الدلاليّة غير قادرة على اختيار معنى طراز في العقد المكونة لشبكة خطاطة حرق، ولكننا نجد في المقابل ترايطات مجازية متدرّجة لعلاقة السبب بالنتيجة (نتيجة قريبة - نتيجة بعيدة) هي الشكل الموسّع لوجوه الترايط بين المعنى القاعديّ والمعاني الثانوية في النظرية الطرازية الموسّعة، إذ لا يشترط الترايط الشبكيّ تسلسلاً يجمع بين العقد الكبرى وتفريعاتها جمعاً شمولياً بل يفترض تجميعاً تراطياً إشعاعياً انتقائياً يجعل الناب والحديد ممثليّن لمجموعة عقد صغرى ترايط بعقد النار والشعر واللحية والثوب والأطراف ترايطاً تبرره علاقة السبب بالنتيجة، ولكن لا ينعقد الترايط بين عقد المجموعة الثانية وعقد المجموعة الثالثة أي الإقامة والخارج/ البحر والمراحل إلا انطلاقاً من عقدة النار، فالشعر واللحية والثوب والأطراف تتساوى مع النار من حيث تمثيلها للنتيجة ولكنها تختلف عنها في «القيمة التوليدية» لاحقاً، والترايط بين عقدة النار وعقد المجموعة الثالثة هو ترايط يبرره التوسّع في النتيجة أو الهدف المنتج لخطاطة الفصل. إذ ترايط جزيئات كل بنية عقديّة ترايطاً داخلياً تناسبياً بحسب ما يمليه مبدأ الإسقاط المفهومي cognitive mapping<sup>34</sup>، كما أقرّته نظرية الاستعارة المفهوميّة، فالناب والحديد كيانات يتناسبان مفهوميّاً من حيث إمكانية تمثّل كل واحد منهما على أساس مجال الآخر، فحرق الناب يناسب حرق الحديد وحرق الحديد يناسب حرق الناب، والشبيء والثوب والشعر والأطراف كيانات يُتمثّل كل واحد منها على أساس مجال الآخر... بصورة يتخذ فيها التفرع الشعاعيّ في هذه العقدة من الشبكة شكلاً لولبياً يعزز الانتشار الشعاعيّ للمعاني، وهذه الحركية في التناسب تحرر البنية الاستعارية من السلطة الاتجاهية التي أقرّتها نظرية الاستعارة المفهومية إذ لا وجود لمجال مصدر أو لمجال هدف إلا ضمن الشبكة التفاعلية بين هذه المعاني وهو ما يجعل البناء

الاستعاري ممتدًا ومقيدًا في الآن ذاته. ويُفترض أن يمثل معنى إشعال النار فرعًا من فروع هذه الشبكة بما أنه يعكس حدثًا منعقدًا على الاحتكاك المولّد للنار، ولكن تطوّر نسق الحياة اليوم ونمو المظهر التكنولوجي فيها على غرار أشكال إشعال النار مثلاً جعل سبب الاحتكاك في توليد النار وإشعالها يخفت تدريجياً ويُنسى، وهذا الخفوت رافقه في المقابل تصاعد للنتيجة (النار)، وهكذا استقرت دلالة «حرق» في المخيال الثقافي العام بصورة النار لا بصورة الناب أو الشعر أو غيره، وهذا جعلنا ننقل هذا المعنى من متعلقات دائرة الاحتكاك أي خطاطة الربط إلى متعلقات دائرة النتيجة أي خطاطة الهدف، ولذلك أيضا يكاد ذلك التناسب يخفي تدريجياً لأنّ المعاني المجسدة لمقولة الاحتكاك (الناب) اندثرت تماما وما عادت قائمة في الاستعمال، واندثارها بأر المعنى المرتبط بالنار وجعله أكثر بروزا في بنية الشبكة من جهة، وعمّ سبل الترابط التي يمكن أن تقوم بين خطاطة الربط وخطاطة الهدف.

وما قلناه عن أوجه التوسع الدلالي بين «الناب» و«النار» نسوقه في تأويل العلاقة بين «أشعل النار» و«تجاوز الحدود خلسة»، ف«الحرق» ظاهرة ارتبطت بالمجتمعات المغاربية التي تهاجر فئة من شبابها ممن انقطعت بهم سبل الحياة الكريمة في بلدانهم إلى الهجرة بشكل غير شرعيّ، ثم يعمدون بمجرد الوصول إلى الأراضي الأوروبية إلى حرق أوراقهم وكل ما يمكن أن يثبت هوياتهم توكيا من خطر انتباه السلطات إليهم ومن إمكانية التعرّف إليهم وإرجاعهم إلى أوطانهم، فهذا المعنى إذن هو وجه استعماله الحقيقي لفعل حرق ولكنه معنى تجذّر تدريجياً وارتبط بدوره بمُعِين جديد هو امتداد لفعل «الحرق بالنار» ونقصد معنى [التجاوز مطلقاً]، ولكن المعاني الجديدة «حرق الضوء» و«حرق الإقامة» و«حرق المراحل» ... انفصلت تماما عن المعنى الأول «حرق الأوراق» وصارت مرتبطة ارتباطا مباشرا ب«حرق للخارج»، وهذا المعنى الجديد لا تبنيه خطاطة الربط ولا خطاطة الهدف النتيجة، بل تبنيه خطاطة الفصل، ولذلك تتصادم سطحيا معاني «حرق الشيء» و«حرق الحدود» و«حرق البنزين»، فأوجه الترابط بينها تكاد تختفي، بل إنّ الثقافة الشعبية العامة قد ترجع هذه المعاني كلها إلى معنى «إشعال النار» فيتوهم - وهذا هو السائد تقريبا - قيام الترابط بينها على أساس استعاريّ أو تشبيهي رغم غرابة الأصل الاستعاريّ، ولعلنا نكون في هذا المقام أمام حالة تشبه ما يُعرف عند بعض اللسانيين بـ «الإيتيمولوجيا الشعبية»

التي تعزز حدوس المتكلمين في تجميعهم للمعاني المتباعدة تحت أصول واحدة أو فصلهم بين المفردات ذات الأصول الدلالية المشتركة<sup>٣٥</sup>، ويعود هذا الخلط في نظرنا إلى طبيعة الاختلاف بين التحوّل الدلاليّ الناتج عن الاستعارة ونظيره الناتج عن صنف من أصناف علاقات المجاز المرسل، فالاستعارة تبدو أكثر تأثيراً في توجيه حدوس المتكلمين ولكنها في الحقيقة ليست أكثر إنتاجية من المجاز المرسل.

وما قلناه عن «النب» و«الشعر» من جهة أخرى نسوقه في ضبط الترابط بين «البنزين» و«الدهون» ثم بين «الإقامة» و«المراحل»... غير أنّ ذلك التناسب المفهومي في العقد الفرعية لا يمتدّ إلى فروع بقية العقد الكبرى فالاستعارة تشتغل آلياً في شبكة الخطاطات الفرعية المتكافئة فقط، ومبدأ التناسب وما يفرضه من إسقاط لا يستقيم بين النب والشعر أو بين النار والضوء مثلاً إذ لا معنى لتمثل الضوء على أساس النب أو العكس.

والملاحظ أنّ نموذج «حرق» (و«الحرق بالنار» أيضاً) يمثّل (يمثلان) تقريباً حالة تحوّل خاصة في شبكة حرق الخطاطية إذ قام التحوّل فيه من جهة على علاقتي مجاز مبررتين هما: (١) علاقة الحدث بالنتيجة فالبقاء في المكان بصفة غير قانونية يضمّنه التخلص من الوثائق بحرقها، و(٢) علاقة اعتبار ما سيكون بما أنّ هذا الفعل وما يرتبط به من صفات صار يطلق على كل من يعزم السفر بطريقة غير شرعية قبل أن يصل المكان وقبل أن يحرق وثائقه، بل إن حرق الوثائق نفسه سبب التحوّل الأساسي - يتراجع في وضعيات كثيرة لا يضطرّ فيها «الحارق» إلى التخلص من أوراقه حرقاً (فقد يتخلّص منها رمياً في البحر أو قد لا يتخلّص منها مطلقاً) ومن جهة ثانية ينضوي الفعل على علاقة استعارة داخلية عندما نجمعه باستعمالات من قبيل «حرق الضوء» أو «حرق القانون»، والاستعارة لم يحوّل لها أن تتحرّك إلا بعد أن تخلص الفعل حرق من أصوله التحويلية.

وكل هذا يعني أمرين:

١. أن محرّك التحوّل في المعنى لا يكون متكافئاً بين كل العقد إذ ثمة عقد تكتسب خصيصة التحوّل دون عقد أخرى وهكذا نحصل على ثلاث بنى عقدية موزّعة على الشبكة تمثلها ثلاث خطاطات: (١) خطاطة الربط: السبب

:الاحتكاك،(٢) خطاطة الهدف:(النتيجة القريبة): التقطع - الذوبان -  
التبخر،(٣)خطاطة الفصل (النتيجة البعيدة): الامتداد وتفرعه: التجاوز  
مطلقاً.

٢. أن التجاذب بين الاستعارة والمجاز قد يكون في مستوى عقدة واحدة من بين  
مجموع العقد المكونة لكل مقولة، فيكون التحوّل في تلك العقدة استعارياً  
ومجازياً في الآن ذاته، ونكون بذلك أمام تقاطع بين سببي تحويل دلاليّ  
يُطلق عليه البعض مصطلح metaphtonymy<sup>٣٦</sup>؛ على أنّ اجتماع المجاز  
والاستعارة في عملية التحوّل في المثال الواحد يكون إمّا تتابعياً sequential،  
كما رأينا في أنموذج «حرق» وإمّا تزامنياً simultaneous في حالات يؤوّل  
المعنى الواحد مجازاً واستعارة في الآن ذاته كما في أنموذج «حرق الثوب» وقد  
جعل المعجم الوسيط من «انقطاع الحارقة» استعارة وجعله ابن الفارس من  
«الاحتكاك» نتيجة ومجازاً<sup>٣٧</sup>، بل إن التحوّل في مثال «حرق» رأينا يرتبط  
بثلاثة مبررات فقد جمع في الآن ذاته بين علاقتي الحدث والنتيجة واعتبار ما  
سيكون من المجاز وعلاقة المشابهة من الاستعارة.

والمهمّ إذن أن شبكة «حرق» تبنيها علاقات مجازية وأخرى استعارية وأنّ تداخل  
هذه العلاقات لا يمكن أن يحجب أسس النّظام فيها وأنّ التحوّل من معنى إلى  
آخر لا يكون إلا داخل نظام داخليّ دقيق فنحن لسنا أمام حالة «انهيار للخطاطة»  
التي تبني الفعل «حرق» لأنّ العبور من العقدة وفروعها إلى الأخرى يبرره المجاز  
المرسل ما قامت علاقات السبب والنتيجة والامتداد أي ما قامت وجوه التّربط  
بين خطاطات التّربط والهدف والفصل، والعبور داخل عقد المقولة الواحدة تبرره  
الاستعارة، ويكفي لانتقاء أحد معاني حرق إنشاط activation إحدى الخطاطات  
المرجع إليها العقد، ولكنّ الإنشاط لا يكون اعتبارياً إذ يحتكم إلى عوامل تنمّيه، وأهم  
العوامل المساعدة على إنشاط الخطاطة ومنه على انتقاء المعنى التأثيرات السياقية التي  
تجعل المقولة الواحدة من جملة المقولات» تنزع عندما تبلغ درجة عليا من الإنشاط  
إلى محو الأخرى<sup>٣٨</sup>، ومبدأ المحو إذن هو المبدأ الذي يخوّل التحوّل بين الخطاطات  
والمقولات.

## ٢-٢- دور المحو العرفانيّ في حركية «حرق»

لا يقتضي العبور من خطاطة إلى أخرى أي من مقولة شبكيّة إلى مقولة أخرى مبدأ الإسقاط المفهومي *cognitive mapping* - الذي به يُبنى المعنى - كما هو جائز في الانتقال داخل بنى العقد الصغرى، وقد لاحظنا في تحليلنا لبنية شبكة «حرق» أنّ هذا المبدأ لا يشتغل إلا داخل المقولات الفرعية للخطاطة الواحدة وأنّه يتعطلّ تماماً عندما تنتقل من عقدة إلى أخرى داخل شبكة الخطاطات تلك، فما يحدث في مستوى العقد الخطاطية أنواع أخرى من الترابطات أو الاقترانات غير الإسقاط<sup>٣٩</sup>. وتعطيل الإسقاط يحتكم إلى عمليات ذهنيّة ليست أقلّ أهميّة من عمليّة تفعيله، غير أنّ انشغالنا بأسس البناء في بنيتنا التّصوريّة قد صرفنا عن الانتباه إلى «أسس» الهدم فيها، فعمليّتا البناء والهدم عمليّتان عرفانيّتان دقيقتان لا يخلو منهما أي حدث تصويري، وإذا كان مبدأ الإسقاط *mapping* مسؤولاً إلى درجة ما عن بنائية المعنى فإنّ مبدأ المحو *mopping* مسؤول عن هدمه إمّا لاستيفائه دوره الدلاليّ وإمّا لإنشاط معنى ثان، فـ «البناء» لا يتحقق إلا بعد «الهدم» وينتهي بتفكيك بنية (١) وتوليد بنية (٢) في عمليّة ذهنيّة شبيهة بعمليّتي التقطيع وإعادة البناء اللتين جعلهما ابن قدامة المقدسيّ من دور «المفكرة» وهي عنده «قوة رابعة» تضاهي قوة التخيل والإحساس والتعقل<sup>٤٠</sup>. فالإدراك *perception* عنده يتحقق بثلاثة عوامل أساسية يُسمّيها قوى هي: التجربة الحسية، والتجربة العقلية، والتجربة الذهنية؛ وهذه العوامل قد يُدرك بها الموضوع الواحد في حالات تحوّل، ويقتضي الإدراك تسلّط قوة غير هذه القوى هي قوة عرفانية تتطلب «الهدم» و«إعادة البناء» وهي التي أطلق عليها اسم «المفكرة».

والمحو مبدأ يشتغل أنّ القول وتفرضه الحالات الاستعمالية والسياقات التداولية، وهو بوجه ما الآليّة التي تشتغل بها عمليّة المقولة، أي الآليّة التي تجعلني أنتقي خطاطة الربط عندما أجري استعمالاً من قبيل «حرق نابه» ولا أرشّح خطاطة الفصل، فإنشاط خطاطة الفصل في هذا المثال يجعل الاستعمال لاحقاً غير تواضعيّ ويربك دون شكّ المقام التواصليّ للمحادثة، ولذلك يصف لانقار كل عمليّة انتقاء خطاطيّ بكونه نزوع «هدف مخصوص إلى إنشاط مجموعة من الوحدات تكون كل

واحدة منها قادرة بالقوة على مقولته... في البدء تُنشط جميع هذه الوحدات درجة من الإنشيط... فتتنافس الأبنية المُمقولة الممكنة في أداء تلك الوظيفة والأرجح أن الواحدة منها تعطلّ الأخرى بوجه تنزع فيه الواحدة منها إلى نحو الأخرى... وفي نهاية المطاف يفوز عنصر واحد بالسباق بأن يبلغ درجة عليا من الإنشيط على حساب منافسيه جميعاً»<sup>٤١</sup>.

ولكنّ لانفاكر وإنّ نبّه فعلا إلى خصوصيّة عمليّة الانتقاء تلك وإلى دور الشبّكة العصبيّة في الإنشيط التفاعليّ في عمليات المَقولة بأن ميّز مثلا بين علاقتيّ البلورة والتوسع بين المقولات فإنّه لم يقف على أوجه المحو التي يمكن أن تتحقق ولا على أشكاله أو مستوياته، ولعلّ تفصيل القول في أنماط المحو في هذا البحث قد يوضّح جانباً مهماً من حركيّة الشبّكة الخطاطيّة التي تبني حركيّة معنى حرق في المعجم»<sup>٤٢</sup>.

## ٢-٢-١- أنماط المحو:

نعالج المحو إذن باعتباره مبدأ عرفانياً يسبق عملية البناء ويوجّه المَقولة ويحافظ بوجه من الوجوه على نظاميّة التوسّع الدلالي بأن يقيّد حدوده ويضبطها فيضمن بذلك «توازنا دلالياً» ينفي عن المعجم «فيضا» من شأنه أن يحوّل إلى مظهر شذوذ وفوضى، فالمعاني كالأفراد تماما «يموت» بعضها ليحيا البعض الآخر. ويقوم مبدأ المحو لذلك على مظهرين مختلفين:

أ) المحو الجزئي: وهو المحو الذي يرافق عملية الإنشيط في السياقات التواصلية، ويتحرّك هذا النوع استنادا إلى ما تفرضه قيود التضام أو التلازم في الحالات الاستعمالية، فهو إذن محو وقتيّ ينتهي بانتهاء الاستعمال، ولا يقتضي تفعيله تغليب مقولة على أخرى إلا في حدود سياقيّة دقيقة. ويشغل المحو الجزئيّ ضمن الطور السنكرونيّ في اللّغة وبه تُضمن ليونة التحوّل الدلاليّ وسرعة إجرائه، فننتقل مثلا بين المقولات المتكافئة «حرق الشيء» و «حرق الشعر» أو بين المقولات غير المتكافئة «حرق الشيء» و «حرق الإقامة» دون تعثر أو تعقيد. ويضمن المحو الجزئيّ للمعاني أن تتعايش «بشكل سلمي» في فترة زمنية ما دون أن يكون في تعايشها تهديد لاستعمالها، وإليه يُعزى بقاء المشترك في المعجم. وتقاس فاعليّة هذا النوع من المحو

بدرجات التبئير في الشبكة داخل المساحات المتكافئة أو خارجها، فمحو خطاطة معنى ما هو بوجه آخر تبئير لخطاطة معنى آخر.

ب) المحو التام: وهو محو يشتغل في الطور الدياكروني للغة، ولا يرافق عملية الإنشاد الانتقائي للخطاطات لأنه لا ينتقي المقولات بل «يقتلها»، وهذا النوع من المحو لا يعيه الأفراد ولا ينتبهون إليه لأنه يتحقق بشكل طبيعي في المسار التاريخي للمعاني، وتختفي بموجبه بعض العقد المكوّنة لما أطلقنا عليه في تحليلنا لشبكة حرق الخطاطية اسم الخطاطات العليا التي ترجع إليها المقولات، كخطاطة الربط الجامعة لمقولات الاحتكاك، فالمعاني (١) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) في «حرق» «معان ممحوة» لأنها «معان ميّنة» سقطت من فضاء المعجم الذهني للجماعة اللغوية ولا نكاد نعرث عليها إلا بين طيّات القواميس. وهذا المحو هو الذي يجعلنا نقبل اليوم عبارة «أحرق قلبه» ونستغرب من «حرق الناب» و«حرق الشعر»، رغم أن الاستعمال الأخيرين للفعل حرق استعمالان حقيقيان في حين أن الاستعمال الأول استعمال استعاري، وقد خوّل مبدأ المحو للاستعارة أن تتجدّر في الاستعمال وأن تتحوّل إلى آلية بنائية دقيقة في مرحلة من مراحل حركيّة «حرق».

ويحافظ المحو بنوعيه الجزئي والتام على عمليّة توريث المعاني «الأفضل استعمالاً» بأن يحوّنها إلى أصول للتوليد الدلالي الذي لا يكتفي بتعزيز ظاهرة المشترك بل تمتدّ جدواه إلى الخطاب التلازمي حيث تصبح الاستعارة أكثر كثافة وتنوعاً. فمن بين خمس عشرة حالة اشتراك في حرق يضمن مبدأ المحو بقاء معنيين فقط تولدت بهما حالات تضام وتلازم خاصيتين في المعجم:

١. حرق أشعل النار في الشيء، ومنه حرق قلبه وحرق أعصابه وحرق الفلم وحرق الدهون = الإتلاف.

٢. حرق: فلان أو فلان الشيء: تجاوز ومنه حرق الإقامة وجواز السفر والصّوء = تجاوز القانون

والمعنيان يمكن توحيد خطاطاتهما تحت أنموذج خطاطة الهدف، بما أنّهما يمثلان مظهر بلورة المعنى استناداً إلى خطاطة الربط التي هدّم مبدأ المحو خصوصياتهما، فأحّت تقريباً العناصر المكوّنة لشبكتها الخطاطية وأحّت معها أيضاً حالات التلازم المنعقدة عليها نحو «أحرقني بمعنى آذاني، وحرق المرعى الإبل بمعنى عطشها وحرق عليه الأرم بمعنى حقد....»

ولا يشتغل مبدأ المحو بمعزل عن السياق التداولي الذي تنشأ فيه العبارة اللسانية فالسياق الاجتماعي للغة هو الذي يوجّه حركيّة المحو الذهني، فإنّ التبئير المفهومي خاضع لمقتضيات مقامية تفرضه، وتلك المقتضيات هي التي تدفع لتأصيل شبكة معنى على حساب معنى آخر، فالمحو إذن ليس نهائياً ولا يقتل المعاني الأخرى نهائياً بل تظل تلك المعاني كامنة يمكن إنشائها إذا توفّرت لها الظروف والمقامات المناسبة) لاحظ مثلاً نسبة تصاعد استعمالات حرق بمعنى تجاوز الحدود خلسة في فترة ما بعد الثورة التونسية لتصاعد هذا النوع من العمليّات وتراجع استعمالات حرق الناب المنسوب إلى البعير مثلاً لتراجع الظروف المقامية الفارضة لتداول هذا المعنى)

قد يعدّل مفهوم المحو العرفانيّ بالشكل الذي قدّمنا رؤيتنا لطبيعة التطوّر الدلاليّ في المعجم، فنحن في الحقيقة لسنا أمام حالة تطوّر دلاليّ ولكننا أمام حالة تغيير دلاليّ، والفرق بين التطوّر والتغيير أنّ التطوّر يفترض حالة تقدّم واكمال، ولكنّ التغيير هو وضعيّة تحوّل طارئة ناتجة عن حركيّة داخلية بين المقولات. والتغيير الطارئ على شبكة معاني حرق أشبه ما يكون بالتغيير البيولوجي كما ترعّمه فرضيّة الانتقاء الطبيعيّ، فالمعاني كالأفراد تماماً لا تتغيّر بذاتها أي باعتبارها عناصر مفردة ولكنها تتغيّر داخل المجموعة، والمجموعة هنا هي شبكتها الخطاطية، فالمجموعات البشرية مرتبطة بـ «سلف مشترك» وتورّث تغييراتها عن طريق المادة الجينية للأجيال اللاحقة، وما يورّث من تلك المادّة هو الوحيد المسؤول عن بقاء النوع، ويقضي التغيير البيولوجي أن تفقد مجموعة من الكائنات بعض خصائصها بحسب متغيّرات بيئية ووراثية متعددة<sup>٤٣</sup>.

إن تأويلاً استعارياً لحركيّة معاني حرق يجعلنا ننظر إلى شبكته الخطاطية نظرة بيولوجية تمثّل عقده الخطاطية مجموعات دلالية ذات أصل واحد تعاقبت فورّث الجيل منها اللاحق خصائص جينية تكيف بعضها بالبيئة والسيّاق فتجدر واستمرّ نحو «حرق الشيء» و«حرق الإقامة» و«حرق الضوء»... ولم يتكيف بعضها فاندثر وانحى نحو «حرق الناب والحديد»، وقد خوّل هذا التجدر توسيع السيّاق الاستعماليّ لهذه المعاني التي ستظهر في العبارات المسكوكة وقد انقرض بعضها مثل «حرق عليك الأرم» وتعني «حققد عليك»، لانقراض «معنى جينيّ» في شبكة حرق هو معنى «الاحتكاك».

## خاتمة:

أردنا في هذا البحث تعقب حركية معاني الفعل «حرق» في المعجم العربي، فانطلقنا بالبحث في مظاهر الاتساع الدلالي لهذه المادة في القواميس العربية، ولاحظنا أن المعالجة القاموسية للدلالات هذا الفعل تتسم بالفوضى سواء في أشكال ترتيب تلك الدلالات أو في مستوى انتقائها وتقديمها. وقدّرنا أن تكون تلك الفوضى ناجمة عن غلبة النزعة التجميعية لدى القاموسيين على النزعة التأويلية التفسيرية، فمعيار جودة القاموس معيار كميّ بالأساس وهذا المعيار جعل القاموسيين ينشغلون بحجم المادة أكثر من انشغالهم بطبيعة المادة ذاتها.

وتحوّلنا لذلك للبحث في حركية هذا الفعل في مستوى الخطاب واستأنسنا ببعض المفاهيم العرفانية الحديثة في تأويل تلك الحركية، وانتبهنا إلى أن تلك الفوضى الظاهرة تخفي نظاما عرفانياً دقيقاً تتوالد به المعاني توالداً مبرراً بحسب مستويات التكافؤ بين خطاطات المعاني، فالتحوّل الدلاليّ داخل فروع الخطاطة الواحدة يكون استعارياً وبين الخطاطات يكون مجازياً، وقد يكون التنوّع الاستعماليّ على بساطته مؤشراً لتوسيع الدائرة الدلالية، فقد لاحظنا كيف تحوّلت عادة حرق الأوراق من قبل المهاجرين غير الشرعيين مثلاً إلى فعل مولّد لمعنى جديد لحرق هو في الحقيقة نتيجة له وهو معنى تحوّل بدوره إلى «أصل» تفرّعت عنه استعمالات متنوّعة.

وتخضع عمليات التحوّل الدلاليّ في كلّ مرّة إلى مبدأين أساسيين: مبدأ يُبنى به المعنى الجديد وآخر يُمحي به القديم محواً جزئياً أو محواً كلياً. وتسمح عملية المحو بما تفرّضه من آليات الإنشاط والتبثير بإعادة تهيئة الفضاء الذهنيّ لاستقبال المعنى الجديد بحسب ما تقتضيه السياقات الاستعمالية والمقامات الاجتماعية التواصلية فتراجع معان وتولد أخرى، ولا تكون ولادتها إلا ضمن أنماط محددة وأنساق مضبوطة تؤكد احتكامها إلى النظام داخل الفوضى الظاهرة.

قد يدفنا البحث في هذا العمل إلى إعادة طرح حركية المعنى ضمن نظرية الفوضى Chaos Theory التي ترى أن ما نراه في الكون للوهلة الأولى ضرباً من العبث والفوضى ليس إلا بنية نظامية على درجة عالية من التعقيد، وعليه تسعى هذه النظرية إلى تتبع ذلك النظام الخفيّ غير الظاهر في مساراته وأنساقه وإلى الكشف عن التأثيرات البسيطة الخفية التي من شأنها - على بساطتها - أن تغيّر الأحداث تغييراً جذرياً، وسلوك المعنى في المعجم قد يبدو للوهلة الأولى مظهراً من العشوائية والفوضى ولكنّها عشوائية وفوضى ناهجان عن قصور في مناهج البحث في تاريخ المعنى بحثاً إيتيمولوجياً اجتماعياً وربطه بالبعد العرفانيّ في النشاط اللغويّ.

## الهوامش:

## (Endnotes)

١. ابن مراد، إبراهيم: المقدمة، ص ١١٨.
٢. للتوسع في تبين هذه الضوابط يمكن العودة إلى: Hickey, R: Language Change, pp27-32. ويُنظر أيضا: Stockwell , R and Minkova, D: English Words: History and Structure, pp 149-158.
٣. Geeraerts, D: Diachronic Prototype Semantics: A Contribution to Historical Lexicology. Oxford University Press, USA. 1999.
٤. Traugott, E and Dasher, R: Regularity in semantic change. Cambridge, Cambridge University Press, 2002.
٥. Croft, W: Explaining Language Change, p4.
٦. الأبحاث في هذا المجال عديدة جدا بدأت تقريبا مع ظهور نظرية الاستعارة التصويرية. يُنظر بعض هذه الأعمال مثلا في كتاب Metaphor and Metonymy across Time and Cultures. Ed Javier E. Diaz-Vera, the Deutsche Nationalbibliothek, 2015.
٧. ابن مراد، إبراهيم: المدوّنة القاموسية العربية الحديثة بين اللغة والخطاب، ص ١٦.
٨. Lyons, J: Language and Linguistics, p 179.
٩. ابن منظور: لسان العرب، ١/ ٧.
١٠. ابن مراد، إبراهيم: المدوّنة القاموسية الحديثة بين اللغة والخطاب، ص ١٨-٢٥.
١١. يُنظر ذلك على الموقع الإلكتروني للمعجم <https://www./dohadictionary.org>
١٢. المرتضى الزبيدي: تاج العروس، ٢٦/ ٣٩.
١٣. للتوسع في التعرّف إلى كيفية اشتغال البنية التصويرية استعاريا يمكن العودة

إلى 45-5 pp, Z: Metaphor: A practical introduction, Kovecses.

١٤. الإسقاط مبدأ مركزي في نظرية الاستعارة التصورية، به تتولد المعاني الاستعارية عندما يقع تمثّل مجال على أساس مجال آخر فُتسقط معارف المجال المصدر على معارف المجال الهدف، ومبرر الإسقاط هو التناسب الممكن بين معارف المجالين، ويتميّز الإسقاط بجملة من الخصائص أهمّها البعد الحسيّ والثبات وعلوية مستوى الإجراء، ولكنّ معالجتنا لحركية استعارة حرق تنبّهنا إلى حدود البعد الحسيّ في عملية التناسب بين المجالين لأن هذا التناسب قد يتحقق بين مجالين حسيين كما يمكن أن ينطلق من المحسوس إلى المجرد أو من المجرد إلى المحسوس. للتوسع أكثر في خصائص هذا المبدأ يمكن العودة إلى Lakoff, G et al: "The Invariance Hypothesis: Is abstract reason based on image-schema?", pp. 39-74.

١٥. Rey, A : Dictionnaire des expressions et locutions, (Préface - XIII - V pp).

١٦. النصراوي، الحبيب: من قضايا الاشتراك الدلاليّ، ص ٢٠١. ويُنظر أيضاً لنفس المؤلف اهتمامه بقضية المشترك في كتابه "التعريف القاموسي: بنيته الشكلية وعلاقاته الدلالية، ص ٨٤-١٠٠.

١٧. الباحث في قضية المشترك يدرك بيسر تنوع مقترحات معالجته معجمياً وعرافياً. يُنظر مثلاً بدايات البحث في المسألة مع بريال Bréal وتعدد المحاولات بعده في التمييز بين الاشتراكين اللفظي والدلالي على غرار مفهوم المعنى النواة مع برنار بوتيه Pottier أو المعنى الطرازي في النظرية الأصلية ثم الموسعة، واستثمار مفهوم المتوال العرفانيّ عند لايفوف ثم الشبكة الخطاطية مع لانقار.

١٨. Kliber, G: Problèmes de sémantique : la polysémie en question, pp 55-56.

١٩. Idem, La sémantique de prototype, p 110.

٢٠. أهم المبادئ البروز العرفاني هي: (١) الإنسان أشد بروزاً مما هو ليس بكائن حي، (٢) الكلّ أشد بروزاً من الجزء، (٣) الكيانات الفيزيائية المنفصلة تكون

Idem : La sémantique de prototype, أشد بروزاً من الكيانات المجردة. 120. ويُنظر تحليلاً لهذه المبادئ: صولة، عبدالله: المعنى القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرق انتشاره، مجلة المعجمية، ١٨-١٩، ٢٠٠٢، ص ١٩-٣٣.

.Langacker, R: Cognitive Grammar, p 104 .٢١

.Idem, p104 .٢٢

.٢٣. الزناد، الأزهر: نظريات لسانية عرفنية، ص ١٢٤-١٢٥.

.Langacker, R: Cognitive Grammar, p 109 .٢٤

Talmy, L: Toward a Cognitive Semantics, p 466 .٢٥

.88-Idem, 1- 47 .٢٦

.٢٧. "الخطاطات أنماط ديناميكية تستوحى من البنى المشتركة في الأنشطة الحركية المتكررة التي تمارسها أجسادنا في المحيط"، Tuggy, D: "Schematicity", p 82, pp82-١١٦

Clauser, T.C and croft, W: «Domains and image schemas», .٢٨ p16

.534-Rumelhart, D.E: "Notes on Schema for stories", pp 533 .٢٩

.Langacker, R: Cognitive Grammar, p221 .٣٠

.Idem, pp 198- 199 .٣١

Lakoff, G: Women, .٣٢ للتوسع في مفهوم المنوال العرفاني وخصائصه يُنظر: 76-Fire and Dangerous Things, pp 68

.25-Johnson, M: The Body in the Mind, pp1 .٣٣

.٣٤. الإسقاط مبدأ مركزي في نظرية الاستعارة التصورية، به تتولد المعاني الاستعارية عندما يقع تمثّل مجال على أساس مجال آخر فنسقط معارف المجال المصدر على معارف المجال الهدف، ومبرر الإسقاط هو التناسب الممكن بين معارف المجالين، ويتميّز الإسقاط بجملته من الخصائص أهمّها البعد الحسي والثبات وعلوية مستوى الإجراء، ولكنّ معالجتنا لحركية استعارة حرق تنبّهنا إلى حدود

البعد الحسيّ في عملية التناسب بين المجالين لأن هذا التناسب قد يتحقق بين مجالين حسيين كما يمكن أن ينطلق من المحسوس إلى المجرد أو من المجرد إلى المحسوس. للتوسع أكثر في خصائص هذا المبدأ يمكن العودة إلى Lakoff, G et al: "The Invariance Hypothesis: Is abstract reason based on image-schema?", pp. 39.

٣٥. وَهْمٌ وحدة الأصل الاشتقاقي قد يقع فيه الباحث أيضا وهذا لمسناه في إرجاع المعجم الوسيط كما ذكرنا سابقا معنى حرق الشعر إلى معنى «الحارقة» أي «ورك الفخذ»، وقد نقع فيه أيضا في تأويلنا لمعنى «الحرق» التي قد نعللها تعليلا مجازيا مرسلا بربطها بدلالة «الحرق» وهي نوع من السفن الحربية القديمة فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو (ينظر التعريفات في الجدول أ من هذا البحث) والترابط الدلاليّ بين المعنيين جائز ولكن لأسباب ثقافية أنطولوجية يصعب قبول هذا الترابط، فالعفويّة في التعبير اللهجي عن معنى «التجاوز خلسة» لا نظنّه يحتاج إلى العودة إلى القاموس العربيّ لأحياء معنى اندثر ومات بموت مدلوله ونقصد تلك السفينة التي كانت تمثل قديما وسيلة من أهم الوسائل الحربية البحرية فتكا أي «الحرق». يُنظر في مفهوم الإيتيمولوجيا الشعبيّة : Lyons, J: Linguistic Semantics, pp54-60.

٣٦. Goossens, L: "Metaphtonymy: the interaction of metaphor and metonymy in expressions for linguistic action", pp 323-340.

٣٧. Geeraerts, D: Theories of Lexical Semantics. pp. 220-222. للتوسع ينظر :

٣٨. لانجاكير، ر: النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد، ص ٣٤٧.

٣٩. يُذكر أن فوكونيبي Fauconnier نبّه إلى قصور مبدأ الإسقاط في تحليل أشكال بنائية المعنى في إطار نقده لحدود السلطة التفسيرية لمنوال الاستعارة التصورية، واستبدل مفهوم الإسقاط بين المجال المصدر والمجال الهدف بمفهوم الاقتران، فالمجالان يقترنان أو يترابطان لسبب بعينه ولا يحدث بينهما إسقاط، وجعل

إطار الإسقاط المفهومي فضاء آخر غير المصدر والهدف هو الفضاء المزيج. يُنظر  
Fauconnier, G: Mapping in Thought and Language, p. 13

٤٠. يقول: سبب الإدراك يُسمّى قوّة، والمعاني المدركة ثلاثة: محسوسة ومتخيّلة ومعقولة... ثم فيك قوّة رابعة تُسمّى المفكّرة... شأنها أن تقدر على تفصيل الصورة التي في الخيال وتقطيعها وتركيبها. «ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر، ص ١٠٦.

٤١. لانقار، ر: النحو العرفنيّ، ترجمة الأزهر الزناد، ص ٣٤٧.

٤٢. نريد قبل النظر في أصناف المحو العرفاني أن نعدّل ترجمتنا الإنجليزية للمصطلح

، فقد سبق أن اعتمدنا مصطلح «مسح» في بحث سابق  
عنوانه دور الشبكات الإدماجية في تعليل المتضامات المشتركة في المعجم» قدم  
ضمن فعليّات ندوة «اللغة العربية والتفاعل المعرفيّ والمنهجيّ» المنعقدة يومي  
٢ و٣ مارس ٢٠١٧ بالمعهد العالي للغات بتونس، وليس هذا الاعتماد صائباً  
في نظرنا لأنّه قد يوقعنا في لبس مفهوميّ بما أن مصطلح «مسح» معتمد في  
الترجمات العربيّة مقابل المصطلح الانجليزي scanning، وهو مبدأ عرفانيّ  
يفترض «إدراك الحدث ذهنياً في مختلف مراحل وقوعه إمّا باعتباره حدثاً تكوّنه  
أوضاع متسلسلة وآنيّة وإمّا باعتباره حدثاً تكوّنه أوضاع متراكمة متزامنة بوجه  
يستوي فيه الحدث كلا إدراكياً» (الزناد ٢٠١٠، ص ١٢٥). واعتماد مصطلح  
«مسح» ليس في الحقيقة أمراً مجانباً للصواب بما أنّه من مرادفات «المحو»، ولكنّ  
الاستئناس بمصطلح واحد ترجمة لمفهومين مختلفين مُوقع في اللبس، خاصّة أنّنا  
لا نعثر في الأبحاث العرفانيّة على مصطلح دقيق يُشير إلى مبدأ المحو، فلانجاكير  
مثلاً يستعمل الفعل to suppress أي «الحذف»، وهو تقريباً المقصود بالمحو (Langacker, 2008, p230). فالمحو mopping في هذا البحث إذن هو تلك  
العملية العرفانيّة الآنيّة المتواترة التي تقتضيها مفهومة حالات كثيرة في المعجم  
مثل حالات الاشتراك والترادف والتضادّ الداخلي والتي تقوم على تعطيل  
مفهومة معنى أمام التمكين من مفهومة معنى آخر، وقد تمتدّ سلطة المحو فنقضي  
المعنى و«تقتله» وتُسقطه من المعجم الذهني ومن السياقات الاستعمالية في تجربة

الجماعة اللغوية. وهو ما سنحاول توضيحه في بقية البحث.

٤٣. هذه الاستعارة البيولوجية في فهم الظواهر اللغوية نجدها في (١) منوال كروفث (٢٠٠٠) وقد اعتمدها في معالجة التحوّلات التركيبية والصرفية في اللغة، وفي (٢) منوال الشريف الذي يعتبر اللغة مثلها مثل الجينوم البشري الذي يسجّل فيه كل المعلومات التي تعالجها البشرية على مدى الأزمان المتعاقبة. والمنوالان انشغلا بالبعد البيولوجي في المستوى الشكليّ لا في المستوى الدلاليّ: يُنظر (١) Croft, W: Explaining Language Change: an evolutionary approach. London, Longman, 2000. و(٢) الشريف، محمد صلاح الدين: «وقد سألتمونها»، حوليات الجامعة التونسية العدد ٥٣، ٢٠٠٨، ص ٣٣٢-٣٩١.

## قائمة المصادر والمراجع

- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩. (الجزء ٢)
- ابن قدامة المقدسي، موفّق الدين: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام بن حنبل، تحقيق عبد الرحمان سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٣.
- ابن مراد، إبراهيم: - مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧.
- :----- من المعجم إلى القاموس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠.
- :----- المدوّنة القاموسية الحديثة بين اللغة والخطاب، مجلة المعجمية (٢٧)، ٢٠١١، ص ١٥-٥١.
- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط ٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤ هـ. (الجزء ١٠)
- أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر، المغرب، ٢٠١٤. (الجزء ٦)
- الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨. (٨ أجزاء)
- الزبيدي، مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت). (الجزء ٢٥)
- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتاب العلمية، ط ١، بيروت لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. (الجزء ٦)
- الزنّاد، الأزهر: نظريات لسانية عرفانية، دار محمد علي للنشر، تونس ٢٠١٠.

- الشريف، محمد صلاح الدين: «و قد سألتمونيها : بحث في مظاهر من العرفان الجماعي المختزن في البرنامج النحوي»، حوليات الجامعة التونسية، عدد ٥٣، ٢٠٠٨، ص ٣٣١-٣٩١.
- صولة، عبدالله: المعنى القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرق انتشاره، مجلة المعجمية، العددان ١٨-١٩، ٢٠٠٢، ص ١٩-٣٣.
- لانجاكير، روني: النحو العرفني، ترجمة الأزهر الزناد (٢٠١٩).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠٠٤. (الجزء ١)
- معجم الدوحة التاريخي، الموقع الإلكتروني للمعجم <https://www./dohadictionary.org>
- النصراوي، الحبيب: - التعريف القاموسي: بنيته الشكلية وعلاقاته الدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس ٢٠٠٩.
- :----- «من قضايا الاشتراك الدلالي»، أعمال ندوة تكريم الأستاذ عبد الله صولة نوفمبر ٢٠١٠، تونس ٢٠١٤.
- :----- «المعجمية العربية نظيراً وتطبيقاً»، مجّع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختصّ، تونس، ٢٠١٩.
- Diaz-Vera, Javier: (ED): Metaphor and Metonymy across Time and Cultures. The Deutsche Nationalbibliothek, 2015.
- Clauser, Timothy and Croft, William: “Domains and image schemas”. In: Cognitive Linguistics , 10 -1(1999), pp 1-31.
- Croft, William: Explaining Language Change: an evolutionary approach. London, Longman, 2000.
- Fauconnier, Gilles: Mapping in Thought and Language. Cambridge University Press, 1997.

- Geeraerts, Dirk: -Diachronic Prototype Semantics: A Contribution to Historical Lexicology. Oxford University Press, USA. 1999.
- -----Theories of Lexical Semantics. Oxford University Press, New York, 2009.
- Goossens, Louis: "Metaphonymy: the interaction of metaphor and metonymy in expressions for linguistic action". Cognitive Linguistics 1, pp 323-340.
- Hickey, Raymond: Motives for Language Change. Cambridge University Press, 2003.
- Johnson, Mark: The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination and Reason. The University of Chicago Press, Chicago and London, 1987.
- Kleiber, Georges:- La sémantique de prototype: Catégories et sens lexical. Presses Universitaires de France, Paris, 1990.
- -----Problèmes de sémantique :la polysémie en questions. Presses Universitaires du Septentrion, 1999.
- Kovecses, Zoltan: Metaphor: A practical introduction. Oxford University Press, 2002.
- Lakoff, George: Women, Fire and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind, Chicago University Press, Chicago, 1987.
- Lakoff, George et al: "The Invariance Hypothesis: Is abstract reason based on image-schema?". In Cognitive Linguistics,1, pp39-74, 1990.

- Langacker, Ronald: Cognitive Grammar: A basic introduction. New York, Oxford University Press, 2008.
- Lyons, John: - Language and Linguistics. Cambridge University Press, 1981.
- -----: - Linguistic Semantics: an introduction. Cambridge University Press, 1995.
- Rey, Alain et al: Dictionnaire des expressions et locutions. Collection «les usuels», Le Robert, Paris, 2006.
- Rumelhart, David. E: “Notes on Schema for stories”, in Bobrow, D.G., Collins, A. (eds), Representation and Understanding, New York: Academic Press, 1975, pp 533-536.
- Stockwell, Robert and Minkova, Donka: English Words: History and Structure. Cambridge. Cambridge university press (2001)
- Talmy, Leonard : Toward a Cognitive semantics. The MIT Press, Massachusetts, 2000 (2 vols.).
- Traugott, Elizabeth and Dasher, Richard: Regularity in semantic change. Cambridge, Cambridge University Press, 2002.
- Tuggy, David: “Schematicity”, in: The Oxford Handbook of Cognitive Linguistics, Oxford, University Press, (eds) Geeraerts, Dirk and Cuyckens, Hubert, 2007, pp82-116.